لماذا الإسلام
وَسْطَ الزِّحام؟!

حوار مع صديقى الملحد

محمد سيد صالح

دار حروف منثورة للنشر والتوزيع

مؤسس الدار
مروان محمد

الطبعة الأولى

الكتاب: لماذا الإسلام وَسْطَ الزِّحام؟!

المؤلف: محمد سيد صالح

تصنيف الكتاب: فكر

تصميم الغلاف: أحمد جابر

تنسيق داخلي: فريق الدار

مراجعة لغوية: إبراهيم فايد

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٣٥٥٥م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٥٧٣١-٠-٧

Website: https://horofpdf.wixsite.com/ebook
Fan page: http://facebook.com/herufmansoura
Email: herufmansoura٢٠١١@gmail.com
هاتف جوال: ٠٠٢٠١١١٣٠٠٦٢٩٦ – هاتف جوال: ٠٠٢٠١٠٦٤٠٥٤٩٩٥

دار حروف منثورة للنشر والتوزيع لا تتحمل أي مسئولية اتجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء سواء بالنشر مع الغير أو بأي وسيلة أخرى.

محمد سيد صالح

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدلله الذى جعل العلم والعقل والفطرة السوية دليلًا للوصول إليه، والسموات والأرض والجبال وكل مخلوق فيه ألف دليل عليه، والسلام على الهُداة إليه، وبعد

لماذا الإسلام وَسْطَ الزّحام؟!

عندما علِمنا أن هذا الكونَ بما يحتويه من كواكب ونجوم ومجرات وشموس وأقمار وسماوات وأراضين ومحيطات وبحار وأنهار وجبال وهضاب وجماد ونبات وحيوان وإنسان ومخلوقات متعددة، وأن هذا الكون منظم دقيق فائق الدقة كل شيء فيه بمقدار، ويسير وفق قوانين ثابتة، وشهد له علماء هذا العصر ومن قبلهم، علِمنا أن لهذا الكون خالق عظيم، مطلَقُ القدرة، مطلَقُ الحكمة، مطلَقُ العلم، مطلَقُ القوامة قيوم بذاته...

إذن؛ على كل ذي عقل وفطرة سليمة سوية أن يؤمن بأن هذا الخالق العظيم لن يتركنا سُدًى في هذا الكون، بلا دستور وقانون ينظم لنا كيفية التعامل مع هذا الكون وما يحويه، ويدلنا على كيفية الوصول إليه سبحانه، والعمل على ما يرضيه.

ولعل ما نشاهده ونلمسه في حياتنا أن النظام القويم والدستور السليم أساس الحياة؛ فالنظام من أهم الأشياء التي يجب أن تتوافر في أي مكان.. مشروعًا كان، بيتًا، أو حتى مؤسسةً - صغيرة أو كبيرة- فهو الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات والدول الناجحة؛ ولذا أن يكون منهجًا يُسار عليه، فالنظام يدفع بِعَجَلَةِ التطور والتقدم والرقى، ويرفع مستوى الفرد والمجتمع.

وهكذا الكون العظيم الذى خلقه الله -سبحانه وتعالى- يعيش وفق نظام ثابت ومحدد، ولو لم يكن منظَّمًا لَأصبح الكون كله فاسدًا والحياة فيه مستحيلة، وكذلك الإنسان إن لم يكن هناك دستور ينظم له حياته ستصبح كلها فوضى، والفوضى لا شك تؤدي إلى مزيد من الفوضى!

وبما أن حياة الإنسان ما هى سوى تعاملات، فكل مِنَّا يتعامل مع الآخَرِ، الابن يتعامل مع الأب، والطالب مع المعلم، والمُشْتَرِ مع البائع، والموظف مع العميل، والمريض مع الطبيب، والإنسان يتعامل مع سائر المخلوقات مِن جماد ونبات وحيوان وطبيعة؛ إذن فلابد وحتْمًا مِن دستور صحيح، صريح، واضح، سهل، بسيط، حكيم، قوي، متين ينظم لنا كل هذه التعاملات، وفي الوقت ذاته يشمل كل الجوانب الروحية والنفسية والعقلية والمادية، وفوق كل هذا ينظم علاقتنا بالخالق ويقربنا منه سبحانه وتعالى.

وهكذا بعد أن يصبح إيماننا بالله -عز وجل- وبدستوره مبنيًا على عِلْمٍ ويقين وليس إيمانًا سلبيًا أو سطحيًا لسد الفراغات أو إيمانًا بالوراثة وحسب، فقد عزمت على أن أخُطَّ هذا الكتاب لنثبت ما هو مثبَتٌ بالفعل، وفضلتُ أن يكون قصيرًا في عدد صفحاته وبالوقت ذاته حاولت أن يكون مليئًا بالحُجَج العقلية والعلمية والفطرية ليصبح في متناوَلِ القارئ العصري الذى تعَوَّدَ التصفح السريع، ووجهْتُ حديثي فِي هذا الكتاب لِكُلِّ مَن أنكر وجود الله وصار ملحدًا، وكذا لكل مَن آمَنَ بوجود خالق للكون، لكنه لا زال منكرًا للأديان، ولكل مسلمٍ متشككٍ في دينه، ليكون كتابي هذا على هيئة حوار بينى وصديقي الملحد الذى انتقل معي من الإلحاد إلى (الربوبية أو اللادينية) بالأدلة العقلية والمنطقية، ثم ما لبث أن انتهى بالإسلام كذا بالأدلة

وفي حقيقة الأمر هذا حوار افتراضي لكنه يشبه حوارات كثيرة حقيقية بدأَتْ بِحالِ مُنْكِرٍ وانتهت بِحال مؤمن مُوَحِّدٍ مسلم بفضل الله وكرمه.

والله الموفق والمستعان

محمد سيد صالح

إن أول جرعة من كأس العلوم الطبيعية سوف تحولك إلى ملحد، ولكن في قاع الكأس، ستجد الله في انتظارك..

فيرنر هايزنبرغ

لولا وجود _ العدد واحد _ لما تعددت الأعداد إلى المليارات ،،،
ولولا وجود _ الله الواحد _ لما تعددت صنوف المخلوقات ..
محمد سيد صالح

حوار مع صديقي الملحد

سألني صديقي الملحد؛ لماذا تؤمن بالإسلام؟
وما الذي يميز الإسلام عن باقي الأديان؟
فهناك أديان كثيرة لَعَلَّها أصَحُّ من الإسلام!

- **قلت: قبل أن تسألني عن سبب إيماني بالإسلام -كدين ودستور- رضيته لنفسي، فهل أنت تؤمن بمن رضاه لنا دينًا ودستورًا؟**

هل أنت تؤمن بوجود إله خَلَقَ الكون وما من فيه، والأرض وما ومَن عليها قبل أن تسأل عن دينه؟

- **قال: أنا لا أؤمن به ولا بوجوده بالأساس..**
- **قلت: إذن؛ سؤالك عن سبب إيماني بالإسلام وصحته ليس منطقيًا الآن؛ لأنني لو أثبتُّ لك صحة الإسلام وحُجِّيَّتِهِ قبل أن أثبت لك أن هناك إلَهٌ خَلَقَ الكون ومَن فيه والأرض ومَن عليها ووضع لنا دينًا ودستورًا.. فَلِمَنْ ستنسب هذا الدين؟!**
- **قال : وماذا تريد الآن؟**
- **قلت: تعالْ نبحث عن الحقيقة -سويًا- إما أن أثبت لك وجود إلهٍ، وإما أن تنفي لي وجوده!**
- **قال -متكبرًا متعاليًا-: من الصعب أن تثبت وجوده لي، أما أنا فمن السهل نفي ذلك.**
- **متبسمًا -رغم علمي المسبق بدليله الساذج- أجبته: وكيف ستنفي وجوده؟**
- **قال: بمنتهى البساطة كيف يكون هناك إله ولم نره؟ واستطرد: أنا لا أؤمن بصحة الشيء إلا بعد رؤيته؛ فإذا أردْتَ إثباته فأخرِجْهُ لي أو يخرج لنا!**
- **قلت: وهل ستؤمن بوجود الإله لو جعلْتُكَ تراه بعينك؟**
- **قال: نعم.**

- قلت: ولك هذا، لكن بِشَرط.
- قال: وما هو؟
- قلت: أن تخرج لي عقلك الآن أمامي لأتأكد مِن صحة وجوده وبعدها أعدك برؤيه الإله.
- نظر يمنةً ويسرةً في حيرة من أمرِهِ، ثم قال: ما هذه السفسطة؟ أنا موجود وأمامك الآن أتناقش معك؛ وهذا دليل على وجود عقلي.
- قلت: بنفس منظورك؛ فنقاشك معي ليس دليلًا على وجود عقلك لأن نقاشك معي هو أثار عقلك وليس عقلك بعينه!
- قال: وهذا يكفي.
- قلت: تريد أن تثبت لي أن عقلك موجود بمجرد أثر واحد له وهو نقاشك معي، وبالوقت ذاته تنكر وجود الإله رغم كل هذه الآثار التي ملأت الكون بما فيه!
- ارتبك قليلًا، ثم قال: دعْكَ مِن كل هذا، هل تمتلك أدلة على وجود الإله كما تدَّعى أَمْ أنه مجرد كلام مرسَلٌ لا دليل عليه؟
- قلت: نعم، أمتلك أدلة كثيرة ولكن قبل أن أقدمها لك أريد أن أعرف ما هي مصادر تلقي المعرفة لديك؟
- قال: ماذا تقصد؟
- قلت: أقصد ما هو المنبع الذى تؤمن بصحة أدلته؟ هل تؤمن بالعقل كمصدر للمعرفة، أَمْ العلم التجريبي أَمْ ....
- قاطعني قائلًا: فهمتك، نعم أنا أومن بالأدلة العقلية والعلمية.
- قلت -مبتسمًا-: عقلك الذي لا تراه؟! وقبل أن يبدي انفعاله أخبرته: مهلًا عليك أمزح معك، والآن سأقدم لك أدلة عقلية علمية، وسأزيدك حتى بالأدلة الفطرية.
- قال: جميل جدًا تَفَضَّل.

- قلت: فلنبدأ بالأدلة العقلية الفطرية، ولكن قبل أن نبدأ بها فنحن بحاجة إلى حَكَمٍ أمين عادل منصف يحكم بيننا، فكلانا يملك عقلًا وأنا آمنْتُ بعقلي لكنك أنكرْتَ وألحدْتَ بعقلك؛ فأيُّ العقول أصح في هذه المسألة؟ إذن نحن بحاجة إلى حَكَمٍ منصف!
- قال: ومَن هذا الحاكم الذي تريد؟
- قلت: المنطق.
- قال: لماذا اخترت المنطق؟
- قلت: لأنه قانون التفكير الصحيح، وعِلْمُ الميزان الذى توزَنُ به الحُجَجُ والبراهين، لا سيَّما وأن العقل يفكر بأكثر من طريقة؛ فالمنطق سيحدد لنا أيَّ الطرق أسلم.
- قال: وما هي طرق تفكير العقل؟
- قلت: للعقل ثلاث طرق للتفكير وهي : (الفكر المكتسَب، الفكر المباشر، والفكر البديهي):

١. الفكر المكتسَب: هو ما تكتسبه من خبرات وما تبدعه، وهذا النوع من الفكر قد يصيب وقد يخطئ، فأحيانًا يكتسب الإنسان مهارة، أو يبدع شيئًا ما، ثم قد تناسب هذه المهارة أو الإبداع في مكان دُون آخَرٍ أو في زمان دُون زمن، فبالتالي لا يجب علينا التفكير بهذا الشكل لأننا نريد فكرًا قاطع الدلالة.

٢. الفكر المباشر: هو ما ترْصُدُهُ أنت بعينك، وهذا النوع أيضا قد يصيب وقد يخطئ، فأحيانًا يرْصُدُ الإنسان شيئًا ما ثم يُفاجأ أن هذا الشيء على عكس ما كان يتوقع، وغالبًا كُلٌّ مِنَّا وقع في مِثل هذه الحالة، كأن نجد على بُعْدِ مسافةٍ ما شخصًا يشبه صديقًا لنا نفس الهيئة ونفس طريقة الملبس، لكن عندما نقترب منه أكثر نجده شخصًا آخَرَ، وأحيانًا يمُرُّ البعض مِنَّا بتجربة السَّراب تلك حيث يرى بالصحراء بِرْكَةَ ماءٍ بعيدةٍ تبدو وكأنها واحةٌ وحين يصل لموقعها لا يجد سوى الرمال الجافة، وهذا ما يسمى بالوهم البصرى، إذًا ليس كل شيءٍ ترصُدُه العين حقيقة!

٣. فيبقى لنا الفكر البديهي وهو: الذي ينُمُّ عن المُسَلَّمات العقلية، وهذا النوع من الفكر لا يخطئ أبدًا كما قال "إقليدس" حيث اعتبر البديهية دَوْمًا صحيحة، وذكر أمثلته بأن "الكل أكبر من الجزء، والطفل الرضيع حتمًا جاء -في الزمن- بعد أمه.

ونِتاجًا لِما سردتُهُ، سيحكم بيننا المنطق، ثم سألته هل تتفق معى على هذا التحليل؟

- أجابني: نعم، أتفق.
- قلت: هل يقبل المنطق أن القلم الذى بيدي جاء من تلقاء نفسه لا صانع له؟
- قال: لا!
- قلت: فلنتسع بالدائرة قليلًا، هل يقبل العقل أن تكون هذه الغرفة التي نجلس فيها أَوْجَدَتْ نفْسَها بنفْسِها دُون أن يكون هناك مَن شيَّدها ووضع فيها الأثاث ورتَّبها؟
- قال: لا
- قلت: دعنا نتسع بالدائرة أكثر، فهل يقبل المنطق أن تكون هذه المدينة التي نعيش فيها أَوْجَدَتْ نفْسَها بنفْسِها، وصممَتْ طرقها بنفسها، وشُيِّدَتْ المباني والمؤسسات بداخلها مِن تلقاء نفسِها، وشُجِّرَتْ الطرقات والحدائق دُون أي تَدَخُّلٍ خارجي؟
- قال: لا

قلت: فإن كان المنطق يرفض أن يوجِدَ القلم نفسه والغرفة تُنشِئ نفسها بنفسها، والمدينة التي نعيش فيها صَمَّمَتْ نفسها بنفسها، واعتنت بما فيها دُون تَدَخُّلِ بَشَرِيٍّ؛ فكيف للمنطق أن يقبل بأنَّ هذا الكون كله بما فيه من مجرات وكواكب ونجوم وسماوات وأراضين وشموس وأقمار وجبال ومحيطات وبحار وأنهار ومخلوقات متنوعة من جماد ونبات وحيوان وإنسان... إلخ أتوا عبثًا وصُمِّموا دُون أيِّ تَدَخُّلٍ، ووضعوا قوانين ضبطهم المُحْكَمِ

مِن تلقاء ذواتهم، واعتنوا بأنفسهم دُونما عناية خارجية؟ هل يقبل المنطق ذلك؟!! فظل صامتًا.

· قلت: إذًا يتفق المنطق معي ويثبت أن هناك إله هو مَن خَلَقَ كل هذا الكون بما فيه ووضع له القوانين التي يسير عليها واعتنى به.

· فرَدَّ: ولكن أين إلهك، لماذا لا نراه؟

· قلت: ليس شرْطًا أن ترى الشيء بنفسك لتتأكد مِن وجوده، فيكفيك آثاره كما أفهمْتُكَ مِن قبل.

· ثم سألته سؤالًا: لو أنت أوقفْتَ سيارتك أمام منزلك وتركتها ودخلت بيتك وبعد قليل سمعت صوت رياح شديدة، وبعد أن هدأت الرياح خرجت مجددًا فوجدْتَ بالجانب الأيمن من سيارتك خدوشًا كثيرة وبعض الثقوب، فماذا سيأتي بمخيلتك؟

· قال: ربما تكون بسبب الرمال التي انتقلَتْ بشدة مع الرياح.

· قلت له: هذا احتمال، واحتمال أيضًا أن يكون هناك شخص ما يحقد عليك هو مَن فعل ذلك بالسيارة واستغل وجود الرياح.

· قال: نعم.

· قلت: وما رأيك لو اتجهت نحو باب سيارتك الأيسر فوجدت محفورًا عليها اسمك وعنوانك ومكان عملك وتاريخ ميلادك، فهل ستظن أن الرياح هي التي فعلت ذلك؟

· قال: يستحيل، فالرياح لن تأتي بمعلومات دقيقة كذلك عني!

· قلت له: جميل، فكيف لا تقبل أن كتابة بعض المعلومات الدقيقة عنك على سيارتك جاءت صدفة رغم أنك لم ترَ مَن كتبها، وتقبل أن يكون هذا الكون الدقيق بما فيه من معلومات دقيقة

جاءت صدفة؟! فكان عليك -من باب أولى- كما أنكرَتْ فِطْرَتُكَ هذا أن لا تقبل ذاك أيضًا.

· ثم عاد متبسمًا بعد أن ارتبك قليلًا بابتسامة ساخرة قال: أتظن أنك انتصرت بالمنطق؟

فالعلم يفترض أن الكون أزلي مكتفئ بذاته وليس بِحاجَةٍ لِمَن يُوجِدُهُ، وربما يكون هذا الكون قد جاء مِن أكوان أخرى، وهذا ما يسمى بنظرية (الأكوان المتعددة)، وهناك أيضًا فرضية (التذبذب الكوني)، وأيضًا (فرضية الأوتار)، وهناك أيضًا نموذج (الأكوان المتوازية).. كل هذه الفرضيات افترضها العِلْمُ وتشير إلى أن الكون ربما نشأ من أكوان أخرى..

· قلت: أولًا كل ما ذكرتَه ما هو سوى تخمينات فيزيائية لا تستند نهائيًا على أيّ معطًى تجريبي، بل إن هذه التخمينات عاجزة عن تقديم أية تنبؤات علمية مستقبلية، وكثير من مُدَّعيّي هذه الفرضيات اعترفوا بأنه ليس هناك أي دليل مادي على وجود أكوان أخرى غير هذا الكون الذى نحن فيه، ومِن هؤلاء: (مارتن ريز) الذي اعترف بأن هذه الفرضية مجرد تخمين كبير [١]، وكذا ريتشارد دوكينز نفسه يقول: "إن فرضية الأكوان المتعددة أكثر العلماء يبغضونها، وأنا شخصيًا لا أستطيع فهم لماذا أعتقِد بها؟ إنني أعتقد أنها نظرية جميلة، لعل الأمر يعود لكون وعيي قد ارتفع بسبب دارون" [٢]

· ثانيًا: إن العلماء لم يستطيعوا فهم كوننا هذا، فكيف سيفهمون العدد اللانهائي من الأكوان على حد قولهم؟!

---

[١] big bang big god ١٣٣

[٢] The god delusion ١٤٥.

· ثالثًا: لو افترضنا صحة أحدهم، فهل هذا ينفى أن للكون إله؟ بل سيجعلنا نوجه السؤال بدل من سؤالنا عمَّن أنشأ هذا الكون إلى مَن أوجد كل هذا العدد من الأكوان، وهذا يجعلنا نزداد يقينًا -فوق اليقين- أنَّ وراءهم خالِقٌ مُريد، فكلما ازداد الأمر تعقيدًا حتمًا سيحتاج إلى ما هو أكثر إدراكًا.

· ثم قطع حديثي وقال: أنت قلت أنك تمتلك أدلة علمية على وجود الإله؛ فهل بإمكانك طرحها؟

· قلت: نعم، وبما أنك ذكرْتَ لي بعض الفرضيات عن أزلية الكون، فتعالَ نرى كيف حَسَمَ العِلْمُ هذه المسألة.

· قال: لا أريدك تخرج عن الأدلة العلمية التجريبية، فأنا أريد أدلة حقيقة أرى مِن خلالها إلهك!

· قلت: قبل ان أجيبك دعني أتعجب من حالك!

· قال: لِمَ؟!

· قلت: أنت الآن جئت لي بفرضيات ومستعد أن تؤمن بها رغم عدم وجود الأدلة العلمية حولها فهي افتراضات لم تُرْصَد أو تخضع للتجربة، ومع ذلك تطلب منى إثبات وجود الإله بالتجربة الحِسّية المادية التي لم تفعلها أنت، أليس هذا التناقض يثير العَجَب؟ وأيضًا دعني أوضح لك شيئًا قبل أن أتحدث عن رأى العِلْمِ في أزلية الكون أو بدايته.. هل تظن أن العلم المادي لا يعتقد إلا بكل ما هو مادي فقط؟ لو كنت تظن ذلك فأنت حتمًا مخطئ؛ فالعِلْمُ في مواضع كثيرة يستدل بأشياء تغيب عنه بآثارها ولن يجرؤ العلم على نفي كل ما هو غير مرصود، وعلى سبيل المثال لا الحصر: هل يستطيع العِلمُ أن ينفي التاريخ الفرعوني؟ بالطبع لا، رغم أن العلم الحديث لم يرَ الملك "نارمر" مُوَحِّدَ القطرين ومؤسس الأسرة الأولى، والعلم كذا لم يرَ الملك "زوسر" صاحب هرم سقارة، ولم يرَ "خوفو" صاحب الهرم الأكبر.

بل هل تعلم أن العلم التجريبي وصل إلى النظرية الأقرب لتفسير نشأة الكون وهي نظرية (الانفجار العظيم) وهذه النظرية تُعَدُّ الأقرب والأكثر منطقية لتفسير نشأة الكون؛ وذلك لِما يدور حولها من أدلة سنذكرها بعد قليل ومنها سنثبت عدم أزلية الكون؛ فقد استطاع العلم أن يصل إلى عمر الكون -تقديريًا- وهو ١٣ مليار و٧٠٠ مليون عام، والسؤال هنا: هل كان في هذا الزمن عالِمٌ يقف بِمِجْهَرِهِ يرصد نشأة الكون ويخبرنا بوقت نشأته؟ بالطبع لا لم يحدث، لكن العلم التجريبي استدل على تفسير نشأة الكون من خلال الآثار التي رآها، وهذه الآثار أثبتت أن الكون حدَثٌ من الأحداث له بداية وليس أزليٌّ كما تدَّعى أنت وتفترض، وعلى نفس نهج العلم التجريبي نستدل على وجود الإله من خلال أنٍ للكون بداية

تعال نرجع بدايةً إلى فلاسفة اليونان القديم، سنجد أن الثلاثة الكبار (سقراط، أفلاطون، أرسطو) كانوا يؤمنون بإله، ولَمَّا كان العقل الفلسفي في ذلك الحين -وحتى الآن عند الكثيرين من الفلاسفة- عاجزين عن تَصَوُّر إمكانية "الخلق مِن عدم" فقد لجأ "أرسطو" إلى القول بوجود (مادة ليست كالمادة)

(لم تُشَكَّل ولم تكتسب أية صفات) وأسماها "الهيولى - Heoli (أصل الوجود)، وقال بأن هذا الهيولى قديم أزلي، خلق الإله منه الكون، أي أن دور الإله في عمليه الخلق هو تشكيل الهيولى وتنظيمه، وليس إيجاد الوجود من العدم ولم يبين "أرسطو" كيف وُجِدَ هذا الهيولى.

- ثم كان الفيلسوف السكندريُّ "جون فيلوبونس - John philoponus" الذي جاء بالقرن الرابع الميلادي، وهو أول مَن قال بأن الكون حادث (له بداية)، وساق على ذلك البراهين.
- ويخبرنا "وليم لين كريج – william lane craig " أستاذ فلسفة الأديان، أن العلماء المسلمين -وعلى رأسهم الإمام

أبو حامد الغزالي ١٠٥٨- ١١١١م- قد أوصلوا قضية حدوث الكون بشكل واضح، وقد أسموا العلم المختص بالعقيدة، وبمثل هذه القضايا علم الكلام (يقابل علم اللاهوت عند المسيحيين)[١]، وقد كان طرح الإمام الغزالي -في إطار علم الكلام- ما يُعْرَفُ باسم "البرهان الكوني" للاستدلال على أن للكون خالق، ويتكون البرهان من مقدمتين ونتيجة:

- كل ما له بداية له سبب.
- الكون له بداية.
- إذا الكون له سبب (خالق).

. فسألني صديقي الملحد: كيف استند الإمام الغزالي لإثبات أن للكون بداية؟

أجبته أن الإمام الغزالي استند إلى دليل فلسفي ورياضي، والذى يؤكد أنه (من المستحيل أن يكون هناك قِدم لا نهائي من الماضي) أي أن الماضي لابد أن تكون له بداية، ولإثبات ذلك يطرح الإمام الغزالي هذه المحاجاة:

تَصَوَّر أن معي عددًا لا نهائيًا من الحصى، وأردت أن أعطيك منه عددًا لا نهائيًا أيضًا؛ فإن ذلك يمكن أن يتم بإحدى الطرق التالية:

١. يمكنني أن أعطيك كل ما معي، وعند ذلك لن يبقى معي شيئًا.

٢. يمكنني أن أعطيك الأرقام الزوجية مِن الحصى (٢، ٤، ٦،....) وهو عدد لا نهائي، وعند ذلك ستبقى معي الأرقام الفردية (١، ٣، ٥،.....) وهى عدد لا نهائي أيضًا.

٣. يمكنني أن أترك معي عددًا من الحصيات (ثلاث مثلًا) وأعطيك الباقي، وهو عدد لا نهائي كذلك.

[١] ٣١_٣٢ انظر كيف بدأ الخلق عمرو شريف

في الثلاث حالات السابقة طرحنا عددًا لا نهائيًا (ما أعطيته لك) من عدد لا نهائي (أصل الحصى الموجود معي) فكانت النتيجة أرقامًا مختلفة، بينما يؤكد الرياضيون أن تكون النتيجة واحدة في جميع الحالات، أما عند حصول نتائج مختلفة لعملية رياضية واحدة فيعتبرون أن الرقم الأصلي رقم اعتباري أي غير حقيقي.

وإذا طبقنا المثال على الزمن، وطرحنا سنوات لا نهائية من عمر الكون اللانهائي (كما يفترض الملحدون) فسنحصل على إجابات متفاوتة، وذلك يعنى أن اعتبارنا عمر الكون لا نهائي هو اعتبار غير حقيقي[1] ، لذلك ينبغي أن يكون للزمن بداية!

- وتمر الأيام، وتنتقل قضية خلق الكون من قضية فلسفية بحتة لتصبح قضية خاضعة للعلم التجريبي في المقام الأول، مع الاحتفاظ بالفلسفة بدور هام.

وظل العلم ينظر إلى الكون على أنه قديم أزلي ليس له بداية، حتى "أينشتاين" وقت ما كان يضع نظريته النسبية ١٩١٥م وضع في معادلاته أن الكون أزلي، وكان هذا الأمر يسبب له مشاكل في معادلاته فكان يضطر إلى أن يعدل حساباته من أجل أن تتماشي مع أزلية الكون، حتى جاءت الأدلة على بداية الكون كما يلي:

· الدليل الأول: في عام ١٩٢٩م جاء "إيدون هابل" عالم الكونيات وقد توصل إلى أدلة بداية الكون فقلب كل مفاهيم العِلْمِ في هذا الوقت، مما دعى "أينشتاين" للسفر إليه ليتعرف على دليل بداية الكون، وكان دليل "هابل" أنه توصل إلى ظاهرة الإزاحة الحمراء للمجرات Redshift، والتي تعني أن المجرات تتباعد وأن الكون يتمدد، أي لو عدنا بحساباتنا الرياضية للوراء،

[1] كيف بدأ الخلق عمرو شريف ص ٣٨

سنصل إلى الذي كان فيه المسافة بين المجرات تساوي صفرًا؛ أي أن له بداية؛ فلما تأكد "أينشتاين" من صدق المعلومات، اعترف أن وصفه لثابت في معادلاته يلغى به تأثير الجاذبية لتتماشى النتيجة مع الفكرة السائدة عن ثبات الكون، يعتبر أكبر خطأ علمي في حياته[1]

- الدليل الثاني: على أن الكون له بداية: هو (القانون الثاني للديناميكا الحرارية)، وهذا القانون ينص على أن الحرارة تتناقص دائمًا من (وجود حراري) إلى (عدم حراري) وأن العكس غير ممكن، أي أن الكون يبرد على الدوام، ولو كان الكون أزليًا -أي لا بداية له- لفقد حرارته كلها وفنى منذ زمن بعيد[2]

- الدليل الثالث: عندما كان الفيزيائيان الأمريكيان في معامل "بل للتليفونات" في نيو جيرسي وهما "آرنوبنزياس، وروبوت ويلسون" يختبران إحدى المجسات الدقيقة للموجات الميكروية، التقط المجس -وهو آلة معدنية تساعد على رؤية الأشياء الدقيقة- إشارات ضجيج أكثر مما كان الباحثان يتوقعان وظل الضجيج هو نفسه ليلًا ونهارًا على مدار السنة، وذلك على الرغم من دوران الأرض حول محورها وحول الشمس، كما وجد أن الضجيج يأتي من كل صوب وبالشدة نفسها، سواء من داخل مجموعتنا الشمسية أو مِن مجرتنا أو مِن خارج المجرة، ولقد برهن ثبات الضجيج على أن الكون متماثل في جميع الاتجاهات، وكان مصدر هذا الضجيج الثالث هو أن الكون عندما كان ساخنًا جدًا وكثيفًا ومتوهجًا إلى درجة البياض، كان ينبغي أن يصلنا هذا التوهج (ضوء) من جميع أجزاء الكون، ولما كان يتمدد فإن الضوء اعترته إزاحة حمراء كبيرة إلى درجة أنه وصل إلينا على

[1] عمرو شريف، كيف بدأ الخلق انظر ٣٦ إلى ٣٩
[2] كيف بدأ الخلق دكتور عمرو شريف ٣٩

هيئة أشعة ميكروية بدلًا من الضوء المرئي، وهذا دليل ثابت عملي لا يُدْحَضُ على أن الكون متماثل يتمدد ويبرد؛ إذن الكون له بداية، وهذا الدليل ما جعل صاحباه يحصلان على جائزة نوبل ١٩٧٨.[١] ، وهناك أدلة أخرى علمية عملية على أن الكون له بداية ولكن نكتفى بما قدمنا، وهكذا أجاب العلم على القضية الفلسفية ((هل الكون قديم أم حادث)؟ وأصبح مفهوم أن الكون حادث له بداية بمثابة حقيقة علمية.

فقال صديقي الملحد: وهل معنى أن العلم أثبت أن للكون بداية أن هناك إله؟ فربما القوانين هي التي أوجدت الكون وحركته؟

قلت: يا عزيزي القانون ليست من صفاته الخلق أو التوجيه إنما القانون ما هو إلا مفسر للحالة، ومثال على ذلك: أبسط قوانين الرياضة هي ١+١=٢ هنا القانون وصف وتنبأ بهذه النتيجة، لكن لا يستطيع أن يجعل في جيبك ٢٠٠٠ جنيه، لابد أن تعمل أنت لتحصل في يوم ما على ألف جنيه وفي اليوم الثاني ١٠٠٠ أخرى ليكون معك ٢٠٠٠ جنيه، والقانون يفسر لنا أنك لو أردت أن تلعب بلياردو إذن عليك أن تمسك العصا وتضرب الكرة من هذه الزاوية لتتجه إلى المكان الذى تريده، لكن لو لم يكن هناك مَن يمسك بعصا البلياردو ليضرب بها الكرة فهل ستتحرك في الاتجاه المطلوب رغم وجود القانون؟! بالطبع لا، ومن هنا نستنتج أن القانون لا يفعل وإنما يتنبأ.. ثم سألته هل اقتنعت؟

وضع إصبعه في فمه ونظر في الأرض ثم رفع وجهه وقال: لا أدري فربما أي شيء آخر هو من أوجد الكون لكنه ليس إلهك الذى تؤمن به وتحاول أن تسد به فجوتك.

[١] كيف بدأ الخلق عمرو شريف ٣٩ : ٤٠

قلت: إيماني بالله ليس إيمانًا سلبيًا أو لسد الفجوات بل إيمان بالله حقيقي عن إدراك عقلي منطقي علمي، أما في الحقيقة الذى يسد الفجوات هو أنت لأنك تحاول أن تقنع نفسك بأي شيء مجهول ومستعد أن تسميه أي شيء إلا أن يكون الله!

وبعد أن صمت قليلًا، قال: لو كان الإله خلق كل هذا الكون ووضع كل هذه الأدلة لنصل إليه، فلِمَ لا نراه بأعيننا، ولِمَ لا نجده حولنا أسهل من ذلك كله؟

قلت : أنت في نفس الدائرة المغلقة التي كلما حاولت أن أخرجك منها تدخل نفسك فيها مرة أخرى.

ثم قلت : كيف تريد أن تبحث عن الإله أو تجده بذاته داخل هذا الكون المادي الذي خلقه؟ فالله خارج المادة وخارج الزمن؟

فلو أردت أن تبحث عن صانع هاتفك هل ستأتي بالمفك وتفك مسامير الهاتف وتبحث عن صانعه داخل هاتفك؟ بالطبع لا، كذلك الكون خَلْقَ الله الذى خلَقَهُ ونحن جزء من هذا الكون والكون مادة ونحن بأجسادنا مادة، فإن أردنا البحث عن الإله فلنبحث عنه خارج المادة، ولأن أجسادنا جزء من المادة ويستحيل أن نخرج بها خارج المادة؛ إذن فالاستدلال على وجوده بالعقل الذى يرى آثاره المادية، وهذا يكفى كل ذي عقل صحيح.

وأيضًا لو رأينا الإله بأعيننا، فأين الغاية مِن خلق الإنسان، وما فائدة عقله؟ ثم طلبْتُ منه الانصراف مع التفكير في ما تكلمنا فيه، فطلب منى الجلوس قائلًا: أنا على وشك الإيمان بالخالق ولكن أشعر بشيء ينقصني! فلَمَّا طلب مني الجلوس، جلست على الفور قائلًا ما رأيك أن نفكر بطريقة أخرى؟

قال : كيف؟

قلت: بما أن العلم أثبت أن للكون بداية من عدَمٍ مُطْلَق؛ إذن حال انتقال الكون من العدم إلى الوجود لا يخلوا مِن حالَيْن:

١- إما أن يكون انتقالًا بِلا فاعل.
٢- وإما أن يكون انتقالًا بفاعل.
- وانتقال الكون بغير فاعل مستحيل عقلًا لأننا لم نشاهد في حياتنا إيجاد وضع شيء بدون فاعل كما أوضحنا في السابق بالدليل العقلي الفطري الذى حكَّمنا فيه المنطق؛ إذن الكون له فاعل وبما أن الكون له فاعل فهذا لا يخلو مِن حالَيْن:
- إما أن يكون هو الذى فَعَلَ نفسه بنفسه.
- وإما أن يكون الفاعل خارجًا عنه منفصلًا عن الكون، ولعل فكرة أن يكون الكون هو الذي فعل نفسه بنفسه وأَوْجَدها بنفسه لا تصلح لثلاثة أسباب وهي:
· الأول : أنه يلزم منه تقديم الشيء على نفسه، لاستحالة وجود الفعل قبل الفاعل!
· الثاني: أن فاقد الشيء لا يعطيه فكيف للكون الذى يفقد أدوات ومكونات إيجاده أن ينشئ ويوجد نفسه؟!
· الثالث: أن الكون قبل أن يوجد كان ممكن ألا يوجد أصلا ويظل في العدم بلا وجود، إذن ثمة مُرجِّح رجَّح وجود الكون من عدمه، ويستحيل أن يرجح الكون وجود نفسه وهو معدوم!
إذن، فلم يبق لنا إلا أن فاعل الكون منفصل عنه وخارجه، وهو الذى أوجده من العدم.
وهنا قاطَعَني وقال: لو كان كل شيء له سبب خلقه وأوجده فمن خلق الخالق وأوجده؟
قلت: سؤالك غير منطقي لأننا لا نقول أن لكل شيء له خالق، ولكننا نقول كل حدَثٍ له مُحْدِث والكون حدث، ثم إن المقاييس التي يقاس بها الخالق ليست كمقاييس الكون والخلق، فلو معنا خبز وأردنا السؤال عن صانعه فمِنَ الطبيعي أن نقول "مَن خَبَزَ الخبز؟" لكن ليس من الطبيعي أن نسأل نفس السؤال عن الخباز ونقول "مَن خَبَزَ الخبَّاز؟!" فالقياس يختلف تمامًا،

ولذلك نقول السؤال عن "مَن خَلَقَ الخالق؟" لا يجوز فهو بمثابة (مَن خَبَزَ الخَبَّاز؟".

ولو اتبعنا افتراضك فخالق الكون وفاعله لا يخلو مِن حالَيْن:

- إما أن يكون هذا الفاعل له فاعل مُسْبَق أو خالِق مُسْبَق وهكذا ستظل في دائرة مغلقة لن تخرج منها أبدًا لأنك كلما سألت عن الذي خَلَقَ الخالِقَ سنسأل عن الذي خَلَقَ خالِقَ الخالِق، ثم مَن الذى خَلَقَ خالِقَ خالِقِ الخالِق وهكذا في تسلسل، وهنا التسلسل يمتنع ومرفوض عقلًا.
- والحالة الثانية: أن يكون هذا الخالق هو الأول لا يسبقه أحد وهو الذي قام بنفسه وهذه هي صفات الخالق سبحانه وتعالى الأول الذي ليس قبله شيء والقيوم الذى قام بذاته وليس بحاجة لمن يقيمه.

وهنا قد يقع عقلك مجددًا ويسأل، كيف لكل شيء فاعل خالق إلا الله ليس له خالق؟!

وهنا أجيبك: أولًا، لو افترضنا أن الله لم يخلق الكون وليس هناك إله، ستقع أنت في تناقض لأنك لم تقبل أن الله قام بنفسه وفى نفس الوقت مستعد أن تؤمن أن الكون هو الذي قام بنفسه! رغم أن الله يمتلك القدرة المُطْلَقة، والكون مادة غير عاقلة، فأيهما أَوْلَى!

ثانيًا: علينا أن نعلم أن عقولنا قاصرة، ومهما بلغَتْ فمِثْلَها مِثْلَ البصر لها حَدٌّ في الرؤية كما البصر لا يستطيع أن يرى ما وراء الستار، وكذلك الأنف له حَدٌّ في الشم لن تستطيع الشم على بعد ١٠٠٠ كيلو مثلًا، والأذن لها حدٌّ في السمع فالإنسان منا لو يعيش في الطابق الأول لن يسمع جاره الذى يسكن فوقه بالطابق الثالث وهو يتحدث مع زوجته في مسألة خاصة وكذلك العقل له حَدٌّ في الاستيعاب والإدراك.

وهذا نراه في أمور كثيرة، فربما نجلس أمام فقرة لأحد أصحاب اليد الخفيفة ويفعل شيئًا مثل السحر تعجز أمامه العقول، وربما يكون المشاهد عالم فيزياء ولو أراد هذا الرجل صاحب اليد الخفيفة إظهار سر ما فعله سنجدها بسيطة بالنسبة له، فهذا ارتضيناه لإنسان مثلنا فما بالك بالله سبحانه وتعالى فلو أراد الله أن يخبرنا يومًا كيف قام بنفسه مثلًا سنجد أن هذا الأمر بالنسبة للإله شيء يسير، ولكن عقولنا لم ولن تدركه دون إذن من الله.

· صمَتَ قليلًا ثم قال: صراحةً أقنعتني بنسبة كبيرة ولكن يظل عندي سؤال..

· أجبته: ما هو؟

· قال: ألم تعد فكرة وجود الشر في الحياة تتناقض مع وجود الإله؟

· قلت: الإجابة على سؤالك من ثلاث جوانب:

الجانب الأول: يستحيل عقلًا أن تنكر وجود الإله ونشأته للكون وضبطه للكون ودقته، وعنايته الفائقة المرصودة التي لا يغفل عنهما عاقل بسبب الشرور النسبية التي تراها برؤيتك المحدودة.

- فلو نظرت للكون ستجده مُرَكَّبٌ بصورة معقَّدة للغاية، لا يمكن اختزالها في أسباب راجعة للصدفة أو القدَرْ الأعمى، وستجد أجزاء الكون تسير في مسارات دقيقة صارمة، كل جزء يؤدي وظيفته بدقة، وهذا ما اجتمع عليه العلماء وهى (الثوابت الكونية) التي تجعل الكون مناسب للعيش فيه والحياة، ولو وقع أي تغيير في تلك الثوابت -ولو بقدر ضئيل جدًا- ستصبح الحياة في هذا الكون مستحيلة، ومن العلماء التجريبين الذين شهدوا لضبط الكون ودقته العالم الشهير "كريس موريسون" في كتابه "الإنسان لا يقوم وحده" وترجم هذا الكتاب إلى العربية بعنوان "العلم يدعو للإيمان" وقد ذكر في كتابه ضوابط كثيرة منها "دوران الأرض حول محورها قد حُدِّدَ بالضبط لدرجة أن

الاختلاف في ثانية واحدة في مدى قرن من الزمان يمكن أن يقلب التقديرات الفلكية[1]

وتَحَدَّثَ عن الثوابت الكونية المتعلقة بالكواكب الأخرى، كالزهرة والمريخ وعطارد وغيرها؟

وتَحَدَّثَ كذا عن النِسَب الدقيقة في ضبط الهواء في الكون والغازات المنتشرة فيه وأشار في كتابه إلى ضوابط أخرى عديدة.[2]

1 - ويقول العالم الفيزيائي المعاصر "بول ديفيز": "حتى العلماء الملحدون الذين يشكلون جزءاً صغيراً جداً وهشاً من الكون يدبجون قصائد المديح في ضخامته وعظمته وتناغمه وأناقته وعبقريته[3]

2 - ومن العلماء الملاحدة الذين شهدوا لضبط الكون ودقته، العالم الفيزيائي "ستيفن هوكينج" حيث قال معظم الثوابت الأساسية في نظرياتنا تبدو مضبوطة بدقة، بمعنى أنها لو عُدِّلَتْ بمقادير بسيطة، فإن الكون سيختلف كيفيًا وسيكون في حالات عديدة غير ملائمة لتطورات الحياة[4].

ثم يقول "يبدو أن كَوْنَنا وقوانينه كِلَيْهما مصمَّمان على يد خياط ماهر لدعم وجودنا[5]، وهذه المقولة تجعلنا نتأمل في حال "ستيفن هوكينج" وأنه رغم إلحاده ولكن بداخله ما يجعله لا يستطيع نفي الكون ودقته واستحالة نشأته صدفة عمياء ولكن لأى سبب ما فهو في الحقيقة لم ينكر في داخله خَلْقَ الكون بنسبة كبيرة مما دفعه يقول (على يد خياط ماهر لدعم وجودنا)،

---

[1] العلم يدعو للإيمان (٥٢)

[2] العلم يدعو للإيمان أنظر (٦١، ٨١)

[3] الجائزة الكبرى، لماذا الكون مناسب للحياة، بول ديفيز (٣١)

[4] التصميم العظيم ستيفن هوكينج (١٩٢)

[5] التصميم العظيم (١٩٥)

هذه الجملة التي استبدل بها الإله، وغيرهم من العلماء الذين دُهشوا مِن دقة الكون واعترفوا بِخَلْقِه.
ولذلك نقول أنه ليس من الحق والإنصاف والتفكير السليم أننا ننكر الإله رغم هذا الضبط الدقيق لمجرد أن هناك بعض الشرور، الأمر أشبه بمن دخل جامعة فوجد فيها عدة مبانٍ، كل مبنى خاص بكلية معينة، يُدَرَّس فيها علم معين، على يد دكاترة جامعيين متخصصين، وعلى بوابة كل مبنى حارس وعمال يعتنون بالطلبة والطالبات، وداخل الجامعة يوجد مكان مخصص لبيع الكتب وآخر لبيع المأكولات، والشجر والأزهار تملأ مداخل ومخارج الجامعة، ثم وجد بعض القمامة الورقية على جانب إحدى مباني الجامعة بسبب إهمال بعض الطلاب فأنكر أن هذه الجامعة صُمِّمَت على يد مهندسين متخصصين!
الجانب الثاني : أن من ينكر الله بسبب الشر هو في الحقيقة لا يعي الغاية والحكمة التي خُلق من أجلها الإنسان، وأن الخالق أراد للإنسان أن يكون مُخَيّرٌ ولن يتم التخيير إلا بين النقيضين؛ فلو كانت الحياة خيرًا فقط لكان الإنسان مجبورًا على الخير، أما وجود الشر يعطي الإنسان حرية الاختيار، والواعي دائمًا يبعد عن كل ما هو شر ليحقق الخير، ولو قلت لي أن فعلك للشر ليس بإرادتك وأن الخالق هو الذى أوجد الشر وكتبه عليك! سأقول :أن الله عز وجل مِن رحْمَتِهِ أنه لم يُطْلِعنا على المستقبل، فبالتالي لا يعرف الإنسان مِنَّا ماذا سيفعل غدًا ولكن ليس من الصحيح أن يفعل الإنسان الشر بِحُجَّةِ أن الله خَلَقَ الشر وقدَّرَهُ له، فلِمَ لا يفعل الخير نفسه بِحُجَّةِ أن الله كما خَلَقَ الشر خَلَقَ أيضًا الخير وهو الأصل وجعله أعم وأوضح، والإنسان يملك إرادة يستطيع من خلالها أن يفرق بين الخير والشر ويختار ما يريد منهما، والدليل أنني لو قربت من وجهك الآن شعلة نار

ستبتعد باختيارك ولن تقف أمامها بحجه أن الله هو الذى أوجد النار وقدَّر لك أن تُحْرَقَ بها.
أوقَفَ حديثي قائلًا: ولكن هناك شر خارج إرادتي وخارج قدرة الإنسان ولا يستطيع الإنسان أن يختار وجوده من عدمه، كالكوارث والأوبئة والأمراض..... إلخ.
أجبته: أن الله -عز وجل- قد أَخْبَرَنا بكل هذا في كتابه حيث قال "الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا"[1] فالحياة الدنيا في حقيقتها ليست هي الحياة الدائمة، هي فقط مجرد دار يُخْتَبَرُ فيها الإنسان ثم يذهب بعد ذلك إلى الدار الآخرة، التي فيها الحياة الأبدية؛ فكل مؤمن بالله وبِدِينِه يعرف أن الحياة الدنيا حتمًا ستنتهي والكوارث والأوبئة قد كلَّفَها الله بهذا الدور، غير ما تحمله بداخلها من خير كثير فما تراه أنت شرًّا قد يكون في نظر غيرك خيرًا، كمن يعتاد على التفوق الدراسي ونيل المرتبة الأولى كل عام، ثم في سنة من السنوات يحصد المرتبة الثانية، فبالتأكيد سيكون بالنسبة له شرًّا لكن بالنسبة لمن ارتقى بالمرتبة الأولى سيكون خيرًا.
3 - وكذلك مَن يشجع فريقًا ما فخسارة فريقه تعد بالنسبة له شر لكن بالنسبة للفريق الأخر خير، وكذلك الأوبئة والكوارث تُعد في ظاهرها شر كبير ولكن لولا وجودها لما اجتهد العلماء في البحث عن الأمصال والأدوية والبحث في الأسباب التي أدَّت إلى تلك الكوارث.
4 - أمَّا بالنسبة للأمراض التي يُصاب بها الإنسان فهي تُعد بمثابة طالب الدكتوراة، فطالب الدكتوراة عليه من الأعباء والأحمال التي تجعله أكثر إرهاقًا وبحثًا من خريج الجامعة العادي الذى اكتفى بالبكالوريوس، ولكن درجته التي سينالها حتمًا

[1] الملك :٢

ستكون أعلى مِنَ المُكْتَفِ بالبكالوريوس لأنه سينال شرف الدكتوراة.

5 - كذلك الإنسان الذى ابتلاه الله بمرض ما وصبر وتحمل وأخذ بالأسباب سيرتفع عند الله درجات ودرجات؛ فالأجر بقدر الهمة والثبات.

الجانب الثالث والذى يغفل عنه كل ملحد: هو أن نسبة الشرور الضئيلة بالنسبة للخير في الحياة التي يراها الآن لولا وجود الله ويقين الأغلبية بوجوده لامتلأت الحياة بكل صنوف الشر وأنواعه، فالقوي سيغتصب الضعيف ويسرقه ويستعبده ويأكل كل حقوقه ثم يقتله لأنه يعلم أن في النهاية لا رادع له ولا حاكم يحكم بينهما بعد الموت، فكل مَن أراد التلذذ بالشهوات سيفعل حتى لو كان هذا على حساب البشر والحيوان والنبات حتى لا يبقى في الحياة إلا الأقوياء بعد قضائهم على الضعفاء، وحينها سيبدؤون في الصراع بينهم حتى ينتهي الأمر عند أقوى الأقوياء ويبقى وحده، وإن بقى وحده لن يجد مَن ينافسه في الحياة ويفقد لذة التنافس ولا مَن يطعمه إذا جاع ولا مَن يعالجه إذا مرض وستبقى الحياة عبثية ظالمة، فالقوي استمتع في حياته على حساب الآخَرين وفى النهاية تَساوَى الجميع الظالم كالمظلوم، فما تراه أنت من شر وتنفى بسببه وجود الإله، لكان الشر بعدم وجوده أظهر وأعم وأكثر دمارًا....

• فأخذ نفسًا عميقًا ثم قال: الآن آمنْتُ بوجود الإله.

وبعدها أراد بشغف أن يكمل الحديث عن صحة الأديان، ولكن طلبت منه أن يذهب ليستريح وأنا أيضًا، لنعود في الغد بذهن صافٍ، لكنه كان كالجائع يريد أن يكمل الحوار، يريد أن يصل لما يريده قلبه، يريد بر الأمان والاطمئنان، لكنى أصررت على أن ينصرف ليرتاح ذهنه رغم يقيني أنه سيظل متقلبًا على وسادته

يفكر في ما دار بيننا وينتظر الغد متلهفًا، وبالفعل انصرَفَ كُلٌّ مِنَّا.

• فى الصباح استيقظت على رنة صديقي "الملحد".. عفوًا الآن لم يَعُد مُلحِدًا بل مؤمنًا بالله.

- السلام عليكم
- وعليكم السلام، كيف حالك وحال ليلتك؟

حال يومي كان مذبذبًا أفكر فيما دار بيننا، وحالي لا أستطيع وصفه فهو شعور غريب لم يأتني من قبل، فأنا أشعر بسعادة بالغة وفي نفس الوقت ينتابني قلق وتوتر، أريد أن نكمل حديثنا، أشعر وكأني ينقصني شيء عظيم وقلبي ينتظر الراحة، فهل بإمكانك مقابلتي الآن لنكمل ما بدأناه؟

• قلت: على الرحب والسعة، انتظرني ساعة أو أقل بإذن الله.

- قابلته وبعد السلام

• قال: الآن آمنتُ أن للكون إله ولكن كيف أتأكد من أنه إله الإسلام؟ لِما لا يكون إله آخَر لِدين آخَر؟

أو يكون اكتفى بخلق الكون وضبطه ووضع القوانين، ومن ثم جعل كل إنسان مسؤولًا من تصرفاته واختياراته بالعقل الذي أوجده فينا؟

• قلت: بما أنك اعتقدت أن للكون إله وأصبح إيمانك بوجوده مبنيًا على أدلة عقلية فطرية علمية فإيمانك هذا نصف الطريق، وعلى الإنسان المؤمن بوجود الله أن يعي بعض النقاط وهى:

١- كيف للإله الذي خلق كل هذا الكون وما فيه أن يتركه بلا دستور ينظم علاقة أدرك وأفضل المخلوقات -الإنسان- بمن حوله من جماد ونبات وحيوان وعلاقته بينه وبين المجتمع وعلاقته بينه وبين نفسه وقبل كل ذلك كيف سيتركه دون أن يضع له نظامًا ليضبط به علاقته بينه وبين الإله الذي أوجده ويوصله به؟

٢- هل يعجز الإله الذى خلق الكون ومَن فيه على وضع دستور يتماشى مع كل العقول؟ بالطبع إن وضع دستور ودين ينظم حياة الإنسان مع الله ومع مَن غيره من المخلوقات أهون بكثير عند الله مِن خلق الكون.

- ولو تدبرت الأمر عقلًا

- هل رأيت دولة بلا دستور؟ لا
- هل رأيت مؤسسة بلا دستور؟ لا
- هل رأيت أسرة تعيش بلا نظام حياة؟ لا

فما الذى يمنع أن ينزل الله وحيًا ودينًا على مَن يصطفيه من عباده ما دام هذا لا يتناقض مع العقل ولا قوانين الكون؟

تخيل معي لو أن هنالك مؤسسة ما أسِّسَت ثم جاء صاحب المؤسسة بطلب موظفين وعاملين ثم وضعهم في المؤسسة دون أن يخبرهم بدور كلٍ منهم، ولم يخبرهم بوقت بدء العمل ولا وقت الانصراف منه ولَم يضع للمجتهدين مكافآت، ولا للفاسدين عقوبات، فكيف ستكون حال المؤسسة؟

ستجد مَن يأتي العمل متأخرًا وينصرف مبكرًا، ومنهم مَن لا يأتي بالأساس، ومنهم مَن يتدخل في شؤون غيره الغير معلومة أصلًا لِغَيْرِهِ، وحتمًا ستتدهور المؤسسة وستقع ولن يستطيع صاحب المؤسسة بعقوبة أحد منهم لأنه لم يخبرهم بنظام العمل؛ فعلى أي أساس ودستور سيحاسبهم؟

ومن المؤكد أن هذا فِكْرٌ عَبَثِيٌّ لم نشاهده من قبل، وهذا الحال لم نرضه لأقل مؤسسة في الكون، فكيف نقبل هذه الفكرة على هذا الكون الكبير وعلى الإله العظيم؟!

- فما هي عقوبة من قتل ألف أو مائه ألف أو مليون أو أكثر؟

- فمهما كانت عقوبته في الدنيا ستكون حتمًا ظالمة لا تعادل جُرمه، كيف سيعاقبه الإله وهو لم يضع له دستورًا يخبره

بمكافأة المُصْلِحين وعقوبة الفاسدين، وكيف يتركهم بلا خطوط منهجية عريضة يمشون عليها ويتصلون به سبحانه من خلالها؟

- فهذا يعد نقصًا وظلمًا وهذه الصفات يستحيل أن تنطبق على إله خالق.

ثم إن احتياج الإنسان لدستور من عند الله يُعد من الضرورات الحياتية التي لا يمكن أن تستقيم حياته إلا بها؛ فبعد أن تثبت أن الله هو الذى خلق الإنسان، فالإنسان بطبيعته لابد أن يكون خاضعًا لله وعابدًا له، ولأن الإنسان جزء من المخلوقات وكل مخلوق لابد أن يكون تابعًا لخالقه، خاضعًا لجبروته، عارف به سبحانه، متعلق بأسمائه وصفاته.. فالنفوس مجبولة على التعلق بالكمال.

- والإنسان لابد أن يكون بينه وبين الله اتصال دائم، وعلاقة مستديمة، وهذا لن يتَأَتَّي إلا من خلال دين ينظم له تلك العلاقات.

- وأيضًا لأن الإنسان من أشرف المخلوقات وأعلاهم قدرًا ومنزلة ويتصف بخصائص تميزه عن باقي أجناس المخلوقات - كالاتِّصاف بالإرادة والقصد وحرية الاختيار بين الحق والباطل والخير والشر والجمال والقبح- فكان لابد للإنسان من معيار عادل يضبط به مقاييس الموازنة بين تلك الأفعال الاختيارية، وميزان يفرق بين الصالح والفاسد، وهذا لن يأتي إلا بدستور من عند الله يضبط لنا به حياتنا وينظمها، ثم يكافئ مَن اتَّبَعَها ويعاقب مَن خالَفَها.

قال: أتفق معك ولكن ما الذى يجعلك متيقنًا أن الإسلام هو دستور الله ودينه الذى رضاه لنا كما تقول رغم ما يدور حوله من شبهات؟

فكيف وصلت إلى أن هذا الدين الإسلام، هو الحق؟

أجبته: قبل أن أتكلم معك عن الشبهات التي تدور حول الإسلام، وقبل أثبت لك أن تلك الشبهات ما هي إلا شبهات في الفهم وليست في نصوص الإسلام وأحكامه وأنها خلل فكري، تعال لكى أثبت لك سبب إيماني بالإسلام وسط ذلك الزحام وكيف وصلت أنه الحق!

بعد أن أثبتنا ضرورة وجود إله خالق، ثم أثبتنا حتمية إنزاله بدستور ينظم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وبالمجتمع وبغيره من المخلوقات، لم يتبق لنا الآن إلا البحث الدقيق عن هذا الدستور وهذا الدين بين زحام الأديان، والحقيقة أنه وفى ظل كل تلك الادعاءات الكثيرة، تَبَيَّنَ لنا أن هناك نوعان من الدساتير وهما: (أديان بشرية، أديان سماوية)

- الأديان البشرية: كالبوذية، والكونفوشيوسية، والسيخية، والعلمانية، والماركسية، والاشتراكية، والليبرالية..... إلخ.

ولن نقف عند هذه الأديان لأنها معلومة لنا أنها مِن صُنع الإنسان والإنسان معروف أنه يسعد ويفرح ويبكي ويتألم ويصح ويمرض ويمر بظروف نفسية وحتمًا ستنتهي حياته إلى الموت، ومدة حياة الإنسان بالنسبة للكون ضئيلة جدًا، فبالتالي دساتير البشر لا تَصِح لإقامة الحياة بشكل كامل ودائم، لأنه ربما كتب هذا الدين وهو في حالة نفسية تعسة، أو كتب الدين مِن وجهة نظره التي تحمل الصواب والخطأ الناتج عن خبرته هو في هذه الحياة القصيرة، التي يعيشها وبنفسيته هو؛ فتجد الدين البشري قد يصلح في محيط ضيق جدًا ولفترة زمنية بسيطة، كما وقد لا يصلح أصلًا لأنه من المعلوم أن الإنسان مهما بلغ لا يستطيع أن ينظر للحياة نظرة شمولية من كل الجوانب.

- أما الخالق سبحانه وتعالى هو الذى يملك مفاتيح كل شيء، فالخلق خلقُهُ والعِلْمُ عِلْمُهُ، والحكمة حكمته، وهو وحده مَن يقدر على وضع الدستور الذى يناسب كل تطورات الحياة

وجوانبها واختلاف صنوفها، فنظرته للحياة وللمخلوقات ستكون نظرة شمولية كاملة متكاملة؛ ولذا سنستثنى هذا النوع من الأديان (الأديان البشرية).. وتبقى معنا الأديان السماوية

الأديان السماوية: في الحقيقة أن الله عز وجل أنزل عدة شرائع تتناسب مع فترات زمنية محددة تتماشى مع بيئات مختلفة..

وهنا قاطَعَني قائلًا: لماذا أنزل الله هذه الشرائع ولم ينزل دينًا واحد حتى لا يحدث ما نراه الآن مِن فُرْقَة بين الناس؟!

أجبته: بالفعل الله عز وجل لم ينزل علينا عدة أديان كما يظن البعض، فالله عز وجل أنزل دينًا واحدًا وهو (الإسلام) الذي سنكمل حوله الأدلة بعد إجابتي على سؤالك، ولكن أراد الله -عز وجل- أن يمهد للإنسان هذا الدين فسبقه بعدة شرائع تتناسب مع الزمن والبيئة التي نزلت فيه كل شريعة ليؤهلنا بعدها (للإسلام)، ولعل هذا بمثابة الطفل الذى يريد الالتحاق بالجامعة وهو في الخامسة من عمره، فمن الطبيعي أن يمر بعدة مراحل كالابتدائية والإعدادية والثانوية حتى يتأهل للالتحاق بالجامعة؛ فالمنهج الابتدائي يناسب فترة من عمره وسيجد في هذا المنهج ما يؤهله إلى المرحلة الإعدادية، ثم نجد أن المرحلة الإعدادية تتناسب مع فترة من عمره، وسيجد في المرحلة الإعدادية ما يؤهله إلى الثانوية، وهكذا..

- وكذلك أنزل الله -عز وجل- عدة شرائع تتناسب مع أحوال الإنسان وقتها وفي كل شريعة يجد كل ما يؤهله لِما بعدها حتى ختم الله -عز وجل- لنا بالإسلام الذى جاء متماشيًا مع تطور الإنسان ليكون خاتمة الأديان يصلح ويليق بكل مكان وزمان، والآن نرجع لما كنا عليه، فبعد أن أوضحنا أن الأديان البشرية لا تصلح لإقامة الحياة لأنها ليست من عند الله، فلن يبقى معنا إلا الأديان السماوية وهي (التوراة، والإنجيل والإسلام)، وبعد أن بينت لك الهدف من تعدد إنزال الله للشرائع وأنه ختم شرائعه

بالإسلام، نجد أنه ما زال كل دين له أتباع وكل منهم يدعوا أنه الدين الخاتم؛ فوجب علينا أن نكمل التدقيق في كل منهم حتى نصل إلى الدين الحق: ومن المعلوم أن دين الله حتمًا سيكون مُنَزَّهًا ومُبَرَّأً من كل عيب، وأقبح العيوب هي أن نصف الإله بالنقص وهذا نجده عندما يُشرَك مع الإله الواحد إله آخَر؛ لأن الدعوة الأساسية التي جاء بها كل نبي ورسول (هي التوحيد الخالص)، ومع ذلك نجد في التوراة في العهد القديم على سبيل المثال لا الحصر "وكان كلام الرب إلى صموئيل" هذا القول الغريب الذى لا يليق بإله وهو "ندِمت على أنى قد جعلت شاول ملكًا لأنه رجع مِن ورائي ولم يُقِم كلامي)[1]

وفى هذا القول الذي هو في العهد القديم نوع من الشرك بالصفات لأنهم وصفوا الله عز وجل بالندم وهي من صفات النقص للمخلوقين، وأيضا من صفات النقص التي تراها في هذا القول هو نفي العلم المسبق عن الله -عز وجل- وكأن الله جعل (شاول) ملكًا وكان يظن أنه سيُقِم كلامه ثم خذل الله.

أما بالنسبة للإنجيل نجدهم نسبوا لله (الولد والابن).

قال لهم: (وأنتم من تقولون إني أنا ؟)[2]

فأجاب سمعان بطرس وقال (أنت هو المسيح ابن الله الحي)[3] ولا أريد أن أطيل النفس في دحض التوراة والإنجيل بعد ثبوت ضعفهم في أهم صفات الله عز وجل وهي: التوحيد الخالص.

• فلن يبقى إلا (الإسلام): وستجد الإسلام مليء بإثبات التوحيد الخالص لله عز وجل وتنزيهه من كل نقص وعيب، ففي الإسلام سورة قصيرة تعد ثلث القرآن لِما فيها مِن توحيد، يقول الله تعالى

---

[1] صموئيل الأول ١٥:١١

[2] متى ١٦ :١٥

[3] *متى١١:١٦

بعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾.[١]وقوله ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾[٢]

وقوله : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾[٣]

وقوله ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) ﴾[٤]

وقوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) ﴾[٥]

وهناك الكثير من الأدلة التي تثبت التوحيد الخالص لله -عز وجل- وتبرؤه من كل عيب ونقص، فمن يعرف الله وكماله سواه؟!

صمَتَ قليلًا ثم قال: وهل تظن أن هذا دليلًا كافيًا على صحة الإسلام؟

- قلت : نعم، ولكني سأزيدك
- قال: تفضل، أتمنى..
- قلت : وإليك

• الدليل الأول: بعد دليل التوحيد الخالص الذى يختص به الإسلام عن أي دين آخر وهو: صدق من نزلت عليه رسالة الله، فمما لا شك فيه أن الله -عز وجل- لن يُنَزِّلَ دينه إلا على نبي صادق، ولا يمكن أن تقع لغيره مِنَ المُدَّعين، أو السحرة والكهنة

---

[١] الإخلاص
[٢] سورة الأنعام ٥٦ :٧١
[٣] سورة البينة الآية ٥
[٤] سورة الأنعام الآية ١٠٢
[٥] الآية ٦٥ سورة ص

لأن النبوة قائمة على الإخبار عن الله، فلم يُعْهَد على النبي -صلى الله عليه وسلم- طول عمره أنه كذب كذبة واحدة أو أنه خان أمانة واحدة، حتى كان يُلَقَّب في قومه بالصادق الأمين.

وإن من أعظم الشواهد العظيمة الدالة على ذلك :أنه -صلى الله عليه وسلم- حين قام في قومه يبلغهم رسالة الله إليهم، قال لهم بعد أن نادى في جميع بطون قريش: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مُصَدِّقي؟ " قالوا نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم)[1]

- فشهد له قومه بأنهم ما جربوا عليه كذبًا في حياته، وفي ذلك أبلغ الدلالة على كمال صدقه، كما ولم يتهمه أحد بالكذب حتى عمه أبا لهب حين اعترض عليه لم يتهمه بالكذب، وإنما لجأ لِسَبِّهِ.

- وحتى بعد مرور زمن من بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- ظلت قريش تشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالصدق مع عدم تسليمهم لما جاء به، فقد قال "عتبة بن ربيعة" لقومه "قد علمت أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب"[2]

- وها هو "هرقل" حين سأل أبا سفيان: هل كانوا يتهمون النبي -صلى الله عليه وسلم- بالكذب في حياته، أجابه: بأن لا، وأمر بأن قريشًا لم تعهد عليه بالكذب في حياته[3]

- وغيرها من الشواهد الكثيرة التي تُثبت صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي نزلت عليه الرسالة فضلًا على أن النبي صلى الله عليه وسلم وقت تبليغ دعوته كان فى الأربعين

---

[1] أخرجه البخاري رقم (٤٧٧٠)

[2] صحيح السيرة النبوية، الألباني (١٦٢).

[3] أخرجه البخاري رقم (٢٩٤٩) ومسلم رقم (١٧٧٣)

من عمره وكان قبل التبليغ في أعلى درجات الكمال الإنساني وضربت به الأمثال في حسن الخلق والأمانة والصدق، فما الذى يدعوه أن يكذب في هذه الفترة وهي فترة النضج وهو لم يفعلها في شبابه، وحينما يريد أن يكذب يكذب على الله؟!

• الدليل الثاني: مِن المعلوم أن الإنسان إذا أراد أن يبيع سلعة ما سيبحث عن رغبات الناس ليدعوهم من خلالها، لكن ما حدث مع النبي -صلى الله عليه وسلم- عكس ذلك فقد بعث في قوم يشربون الخمر ويستحلون الزنا.. فكانت العاهرة أو من تريد بيع عرضها تعلق على خيمتها راية حمراء ليدخل عليها من يريد الزنا بها، وكانوا يعبدون الأصنام، ويستمعون إلى الغناء، والرقص.... إلى آخر هذه الفواحش البهيمية، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء بعكس ذلك يحرم الزنا، وأزال الرايات الحُمر، ونهى عن شرب الخمر، ونهى عن عبادة الأصنام، ودعى إلى توحيد إله واحد والصلاة والزكاة والصيام والحج.

وهذا بعكس موقف "النضر بن الحارث" الذي كان يحارب الإسلام بكل ما أوتي من قوة؛ فقد ذهب إلى بلاد العجم وتعلم ضرب وعزف العود ولما قدم إلى مكة علَّمَ أهلها الغناء والرقص وقصَّ عليهم قصص الفرس وكلما سمع أن أحدًا يريد دخول الإسلام يذهب إليه فيقول: (أطعميه وأسقيه وغنيه، هذا خيرٌ مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه) أي أن الغناء واللهو والموسيقى أفضل من العبادات التي يأمر بها الإسلام، وكل عاقل يرى الاختلاف بين دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- التي جاءت بعكس ما تشتهي الأنفس من شهوات محرمة ليؤكد أنه أُرْسِلَ بِدينٍ من عند الله، وبين دعوة "النضر بن الحارث" التي تدل أنه يدعو الناس لدنيا وشهوات فجَّة قبيحة.

- • الدليل الثالث: شهد التاريخ مِرارًا أن أُناسًا تسرق جهود الآخرين الفكرية وغيرها ولم يشهد التاريخ حالة واحدة أن هناك من نسب عمله وفكره الذي اجتهد فيه لغيره، فلو لم تكن رسالة الإسلام من عند الله -عز وجل- وأن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- هو الذي كتبها، فكيف ينسبها لغيره -الله عز وجل- رغم ما فيها من قوة وبلاغة وعلوم؟! فهذا دليل وحده يكتفى به كل طالب حق.

• الدليل الرابع: أن الدين الذى جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- وصل إلى المنتهى والكمال في كل شيء في الصلاح والمحاسن والإتقان والاستقامة والرحمة والعدل والعلم والعمل والإحكام وضبط علاقة الإنسان بربه وعلاقته بينه وبين الخلق، وبين الكون، وبينه وبين جنسه، وشمل العبادات والتشريعات التعبدية، وشمل مجال البيع والشراء والأنكحة وتوابعها، والجنايات، والعقوبات والديانات والشهادات والأخلاق والقيم وغيرها من المجالات الحياتية المختلفة، مع مرونة واتزان هذا الدين بحيث أنه يبعد عن العقل أن يكون هذا الدين صادرًا من رجل واحد لم يتعلم القراءة والكتابة، ولم يُشْهَد له أنه تَجاوَزَ الصحراء.

• الدليل الخامس: نجد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مكث طوال حياته فقيرًا لا يملك مالًا ولا طعامًا مستديمًا في بيته، ومات وهو فقير ودرعه مرهونة عند بعض اليهود، وكان يلزم أهل بيته بالزهد والتقلل من الدنيا على الرغم أنه عُرِضَ عليه المال والشهرة والمُلك لكنه رفض!

- وهناك حادثة شهيرة، عندما ذهب له "عتبة بن أبى ربيعة" بعد إسلام "حمزة بن عبد المطلب" عم النبي -صلى الله عليه وسلم- وعرض عليه أشياءً يقبلها أي إنسان طالب دنيا

ويعمل لها، فقال: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شَرَفًا سَوَّدْناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به مُلْكًا مَلَّكْناك علينا؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رأيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا في أموالنا حتى نبرئك منه، حتى فرغ "عتبة" من عروضه، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستمع منه، ثم قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟

قال: نعم

قال: فاسمع منى

قال: أفعل

فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم-: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾، ثم مضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرؤها عليه فلَمَّا سمعها منه "عتبة"؛ أنصت لها؛ وألقى بيده خلف ظهره معتمدًا عليها يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك، حتى قام "عتبه" إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك؟ قال إني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر؛ ولا بالسحر؛ ولا بالكهانة.. إلى آخر ما قال.

فلو كان هذا النبي -صلى الله عليه وسلم- ليس من عند الله فمن الطبيعي أنه يعمل ذلك إما لمال أو لشهرة أو لشرف، ومع ذلك عُرِضَتْ عليه كل هذه الشهوات التي يتمناها أي إنسان ولكن النبي رفضها وقرأ عليه قول الله تعالى مما جعل "عتبة" يعود

بوجه غير الوجه ويشهد بعظمة ما سمع وأنه ما سمع مثله قط ونفى عنه أن يكون هذا القول قول شاعر أو ساحر أو كاهن.

- ألا يدلك هذا على أنه من عند الله؟!

- ولكني سأزيدك

• الدليل السادس: وهذا الدليل يُعَدُّ من أعظم الدلالات العقلية الدالة على صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه دين من عند الله، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أُرْسِلَ إلى الناس بالقرآن باعتباره دليلًا من عند الله على صدق نبوته وتحدَّى به كل مُكَذِّبٍ مُعارِضٍ لِنُبُوَّتِهِ، بل وتحدَّى به الجن والإنس جميعًا وما زال التحدي هذا قائمًا إلى يومنا هذا وسيظل إلى يوم القيامة، فقد بدأ التحدي بأن يأتوا بمثل هذا القرآن قال تعالى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾[1]

- بل ومن العجب أن هذا التحدي نزل بداية في قريش وهم أصل اللغة والفصاحة البلغاء ولا يوجد من يعلوهم في هذه اللغة، ومع ذلك عجزوا تمامًا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن!

- فرفع النبي -صلى الله عليه وسلم- سقف التحدي معهم فقال لهم كلام الله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣)﴾[2]

- ولم يكتف بهذا بل رفع سقف التحدّي أكثر وأكثر وطلب منهم أن يأتوا ولو بمثل سورة مما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

[1] سورة الإسراء ٨٨

[2] سورة هود:١٣

(٢٣)﴾، ومع ذلك عجزوا على أن يأتوا بمثل سورة مما أنزلها الله على نبيه -صلى الله عليه وسلم- بل وفي كل مرة يتحداهم أن يدعو معهم ما يريدون لمحاولة الإتيان ولو بمثل سورة من القرآن ونحن نعلم أن أصغر سورة في القرآن هي (الكوثر) وهي لم تتجاوز العشر كلمات، وليس المقصود بأن يأتوا بمثله بأن يفعلوا مثل ما فعل البعض وجاءوا بكلمات على نفس نغم القرآن فضلًا على أنها كلمات عبثية لا قيمة لها ولا فائدة منها ولم تقدم معلومة جديدة، ويظنون أن هذا مثل ما جاء به!

- وكما يقول الخطابي: "إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عنه وانقطعوا دونه، وقد بقي -صلى الله عليه وسلم- يطالبهم به مدة عشرين سنة، مظهراً لهم النكير، زاريًا على أديانهم، مسفهًا آراءهم وأحلامهم، حتى نبذوه وناصبوه الحرب، فهلكت فيه النفوس، وأريقت المهج وقطعت الأرحام، وذهبت الأموال، ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم، لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة، ولم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول، إلى الحزن الوعر من الفعل، وهذا ما لا يفعله عاقل، ولا يختاره ذو لب، وقد كان قومه قريش خاصةً موصوفين برزانة الأحلام، ووقار العقول والألباب، وقد كان فيهم الخطباء المصاقع، والشعراء المفلقون[1]

• الدليل السابع: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان أميًا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يكن معروفًا بكثرة الأسفار والترحال والعلاقات مع الثقافات المختلفة، ومع ذلك فقد أتى في القرآن بعلوم ومعارف لا يمكن أن تكون متناسبة مع حاله المعرفي وأن القرآن تضمن أمورًا لا يمكن للرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يأتي بها من تلقاء نفسه، فعلى سبيل المثال قد

[1] بيان إعجاز القرآن، الخطابي -ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- (٢١)

جاء في القرآن عن الأمم السابقة بتفاصيل متعددة ودقيقة جدًا، وكذا جاء فيه أخبار عن الوقائع التي وقعت في زمنه بما لم يشهده هو ولم يخبره بها أحد، كذلك الأخبار عن الأمور المستقبلية، وكل ذلك يخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- بلغة جازمة ولفظ صريح.

وكما قال "محمد دراز" إن من عجيب شأن النبوءات القرآنية، أنها تقتحم حُجُبَ المستقبل قريبًا وبعيدًا، وتتحكم في طبيعة الحوادث توقيتًا وتأييدًا، وكيف يكون الدهر مِصداقًا لها فيما قَلَّ وكَثُر، وفيما قَرُبَ وَبعُد؟

بل انظر إلى جملة ما في القرآن من نواحي الإخبارية ، كيف يتناول بها محمد -صلى الله عليه وسلم- ما وراء حِسِّهِ وعقله من أنباء ما كان، وما سيكون، وما هو كائن، وكيف أنه كلما حدَّثَنا فيها عن الماضي صدَّقَتْهُ شواهد التاريخ، وكلما حدَّثَنا عن المستقبل صدَّقَتْهُ الليالي والأيام، وكلما حدَّثَنا عن الله وملائكته وشؤون غَيْبِهِ صَدَّقَتْهُ الأنبياء والكتب[1]

• الدليل الثامن: عندما توفى "إبراهيم" بن النبي -صلى الله عليه وسلم- قدر الله أن كسفت الشمس في هذا اليوم فظن الناس أنها كسفت لأجل موت أبراهيم وأن هذه علامة من علامات النبوة، ومع ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قام في الناس وبين لهم الأمر وقال: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْخَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ: إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ"

[1] النبأ العظيم انظر محمد بن عبدالله دراز (٦٣)

فلو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدَّعى النبوة كذبًا فقد جاءته على طبق من ذهب كما يقولون، فكان من الممكن أن يصدق على كلامهم وأنها بالفعل دليل على نبوته، أو على الأقل يسكت ولا يتكلم، ولكن نجد عكس ذلك تمامًا بل قام فيهم وبيَّنَ لهم خطأهم.

• وهنا قاطعني وقال: يكفيني كل هذه الأدلة فلا ينبغي لعاقل أن ينتظر أكثر من ذلك بالفعل قد أحاطتني الأدلة.

• قلت: والله أن أدلة صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- ورسالته وأن هذا الدستور لن يكون إلا من عند الله كثيرة وكثيرة جدًا، وإن أردت الزيادة لأعطيتك ولكنك اكتفيت بفضل الله.

• قال: والله أنني شبه آمنْتُ ولا أريد أن أقول أنني آمنْتُ بهذا الدين فعلًا إلا بعد أن تزيل عن قلبي بعض الشبهات التي تراودني.

وكانت تلك المرة الأولى التي يقسم فيها بالله منذ لقائي به

•قلت له: هذه الشبهات إما جهل ممن طرحها عليك وقصور في فهمها ونظرة أحادية ضيقة الأفق، وإما تدليس وكذب وبهتان يراد به تشويه هذا الدين الذى وصل إلى المنتهى في كل جوانب الحياة، ولا ينبغي أن تبحث عن الشبهات بعد أن تَبَيَّنَ لك صدق هذا الدين وأنه مُحالٌ أن يكون من عند غير الله والأَوْلَى أن تذهب لتتعلم كيف أحاط هذا الدين كل أمور الحياة ووصل بها إلى الكمال.

قال: صدقني سأفعل، ولكن أريد فهم بعض المسائل التي أشكلت على وكانت من ضمن أسباب نكراني وإلحادي.

قلت: مثل ماذا؟

قال: دائمًا يقولون أن الدين الإسلامي متحجر ولا يصلح إلا في زمن النبي على الأكثر، ويكفيهم التعبد به داخل المسجد، فكيف تقولون أنه دين يتماشى مع تطورات الحياة ولم يتكلم عن العلوم كالرياضيات والفيزياء وغيرها؟

أولًا: لو كتب الله كل كلمة من كلمات الحياة القديمة والحديثة والتي ستأتي لَأَصْبَحَ هذا الكتاب بحجم الكرة الأرضية مثلًا ولن يقدر أحد على قراءته أبدًا، ومن رحمة الله -عز وجل- بعباده ومن إعجازه أيضًا أنه جعل هذا الكتاب يحتوي على آيات وإشارات في متناول الجميع تنطلق منها إلى كل جوانب الحياة.

ثانيًا: كما قلتُ لك أن الإسلام وصل إلى المنتهى في كل أمور الحياة، وأشار الإسلام إلى العلم وأهميته وضرورته في مواضع كثيرة من القرآن والسنة ولكن سأكتفي لك بذكر آية وحديث، ولعلمك أن الله -عز وجل- طلب منا بالفعل بل وجعله أمرًا أن نتعلم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلم الكونيات وغيرها من العلوم، ولكن كما قلت لك جعل هذا في إشارة واضحة لنا عندما قال ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[1]

وهنا أمر من الله لنا بأن نسير في الأرض لنصل إلى كيفية بدء الخلق، ولن يأتي هذا السير إلا بالبحث الدقيق في مجالات العلوم كالتي ذكرت.

أما الحديث الشريف، فقد قال -صلى الله عليه وسلم- "ما أنزل الله داءً إلا وقد أنزل له شفاءً عَلِمَهُ مَن عَلِمَهُ وجَهِلَهُ مَن جَهِلَهُ" رواه أحمد، وهنا نجد إشارة من النبي -صلى الله عليه وسلم- لنا بعدم اليأس والتوقف عن البحث العلمي والدوائي لأننا من خلال هذا الحديث أصبحنا نعتقد ونجزم أنه لا يوجد داء إلا وله دواء على الأرض.

- **قال: رائع جدًا**
- **ثم استطرَدَ: وماذا عن التناقض في الدين؟**
- **قلت: مثل ماذا؟**

[1] الآية ٢٠ العنكبوت

• قال: كيف يُربط بين قول الله "لا إكراه في الدين" وقوله "من شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر" ، وبين قول النبي -صلى الله عليه وسلم- "من بدل دينه فاقتلوه"؟

- أجبته: لا يوجد أية تَعارُض، بالفعل لا إكراه في الدين ومَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر ما دمت لم تدخل الإسلام، ولم ولن يجبرك أحد على الإسلام ما دمت خارج دائرة الإسلام، فأقصى ما يُفْعَل معك إقامة الحُجَّة عليك وإرشادك.

أَمَّا قول "من بدل دينه فاقتلوه" هذا يعود على مَن دخل الإسلام ثم ارتد منه فهذا سيكون شر على الإسلام من الكافر.

- قاطَعَني وقال: أين الرحمة وأين الحرية؟

- قلت: الإسلام أعز الإنسان وأعطاه الحرية الكاملة التي تنفعه وتنفع المجتمع ولكن لا يوجد شيء اسمه حرية مطلقة بشكل مطاطي ولا سقف لها، وقتها ستصبح همجية تضر بالمجتمع.

- فأحيانًا يدخل الإنسان الإسلام بهدف ونية مسبقة وهي أن يخرج منه بعد دخوله فيه ليخرج على الناس ويقدح ويذم في الإسلام كذبًا ويقول لهم ها أنا دخلت الإسلام ورأيته لا يصلح، وأحيانًا يكون ارتد بسبب عدم فقهه في أبسط أمور الإسلام وبحثه الدائم عن الشبهات!

- ثم إن الرِّدَّة لم تأتِ مباشرةً ولا مِن قِبَل أي مسلم ولا على أي مرتد، فإن كان المرتد بينه وبين نفسه لم يجهر بردته فهو وشأنه، ولو جهر بها وأراد تفكك المسلمين وذبذبتهم فمن أهل العلم قال أنه يُستتاب بأن يجلس معه أحد العلماء ويقيم عليه الحُجَّة ويزيل عنه الشبهات، وإن أبى وعاند وكابر يُقتل وليس من حق أي مسلم أن يقتله من تلقاء نفسه بل يُنْظَر في أمره ومَن يقوم بقتله الولي أو المسؤول وهذا قمة العدل.

- تخيل لو أصيب رجل بالسرطان في جزء من أجزاء جسده وأصبح السرطان يهدد حياته بالكلية وسينتشر في سائر أعضاءه، فهل لو طلب الطبيب بتر الجزء المسرطن سيكون ظلمه؟ هكذا هو المرتد المعاند كالسرطان بين المسلمين يحاول نشر جهله وسمه؛ فالأَوْلى بتره حتى لا ينتشر خبثه بين المسلمين أليس كذلك؟

•قال: صدقت، وماذا عن انتشار الإسلام بالسيف، وأنه دين قتل ودم؟

- أولًا: عدد من دخلوا الإسلام وقت الحرب مقارنة بعدد من دخلوا الإسلام في السِّلم لا يُذْكَرون، فكيف أنه انتشر بالسيف؟

- ثانيًا: البشرية في الإسلام خمسة أنواع، وهي: (المسلم، المُعاهِد، الذِّمّي، المستأمَن، المُحارِب)

- المسلم: حرم الله -عز وجل- قتله في مواضع كثيرة قال تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[1]

- وقال صلى الله عليه وسلم "فإن شهدوا أن لا إله لا الله وأن محمدًا رسول الله واستقبلوا قِبْلَتَنا وأكلوا ذبيحتنا وصَلُّوا صلاتنا فقد حُرِّمَت عليهم دمائهم"[2]

- المُعاهِد: قال صلى الله عليه وسلم "من قتل مُعاهِدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها لَيوجد من مسيرة أربعين عامًا"[3].

- الذِّمّي: قال صلى الله عليه وسلم "ألا مَن قتل نفسًا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمه الله فلا يرح رائحه الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا"[4]

---

[1] النساء ٩٣

[2] أخرَجَهُ البخاري ١٠٩ /١ (٣٩٣)

[3] أخرَجَهُ البخاري

[4] رواه الترمذي

- المستأمَن: وهو مَن أخذ الأمان بدخول دار الإسلام حتى وإن كان في الأصل محاربًا فهذا أصبح بينه وبين المسلمين عهد وقد قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[1]

- وقال صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ومَن قتل مستأمناً فقد غدره"

- وقال صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: "اجتنبوا السبع الموبقات، وعَدَّ منها: قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق"، ولا شك المستأمن يَعد نفسًا يحرم قتلها، وقتله يُعَدُّ من الكبائر، وغيرها من الآيات والأحاديث الدالة على جُرم المسلم القاتل بغير حق.

- يتبقى المحارب: والمحارب هو الذى يبدأ بالقتال أما من كف عنها فلا يجوز محاربته قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2]

-سنجد في هذه الآية شرطان لِجَواز قَتْلِ المحارب وهما:

الأول: الذين يقاتلونكم: أي الذين يبدؤون معكم بالقتال دون أن نبدأ نحن أما مَن كفَّ عن القتال فلا يجوز قتله

الثاني: ولا تعتدوا: وهو أن لا تقتلوا وليدًا أو امرأة ولا شيخًا كبيرًا ولا من أعطاكم الجزية ولا تقطعوا شجرًا مثمرًا ولا تخربن عامرًا، ولا يعقرن شاه ولا بعيرًا ولا يغرقن نخلًا ولا يغلل، وهذا كله لن تجده إلا في الإسلام ورحمته ورأفته لأنهم إذا قاتلوا فهم لا يقاتلون إلا في سبيل الله.

-بعكس ما تراه الآن إذا احتلت دولة ما أخرى تجدها تدخل عليها بمنتهى الغل وعدم الرحمة ويقتلوا الشيوخ ويغتصبوا النساء

[1] النحل ٩١

[2] البقرة ١٩٠

ويمثلون بالجثث ويخربوا كل عامرًا ويغلظوا ويعتدوا إلى آخره، من أبشع صور القتل والأفعال القبيحة.

الثالث: سأغلق لك هذه المسألة بأية من دستور الله التي لم ولن تجد مثلها ولا مثل عدلها في أي دين آخر وهي قول الله تعالى ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[1]

- لم يقل الله من قتل مؤمنًا أو مسلمًا بل قال ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا﴾ أي نفس كانت مؤمنة أو ملحدة أو كافرة بغير حق، جعل الله حرمتها كمن قتل الناس جميعًا، فأي رحمة هذه وأي دين هذا إن لم يكن من عند الله؟

- تبَسَّمَ ابتسامة مبهجة ثم قال: رائع جدًا

- ولكنه ما زال يأتيني بأسئلته، قال: وماذا عن العبودية والرق في الإسلام؟

- قبل أن أخبرك بحال الرقيق في الإسلام دعني أخبرك عن حال الرقيق قبل الإسلام.

• جاء الإسلام والرق والاستعباد للبشر شائع في الإنسانية ومتجذر في أعماقها ، وتكشف الدراسات التاريخية على أن الإنسانية بلغت في التعامل مع الرق أحط المنازل واتَّسَمَتْ بأقبح الصور، وعانى الإنسان الرقيق ألوانًا من الآلام وصنوفًا من الإهانات والإذلال، وكان الإنسان يفقد حريته بأدنى الطريق، كالخطف من قبل قراصنة البشر، والنهب والسطو والضغط من الملوك والطبقات العليا، وكان الرقيق يُحمل من المساق والمتاعب ما يعجز عن حمله أشد الحيوانات ، ففي الفكر اليوناني كان "أفلاطون" يرى أن العبد محروم من حق

[1] المائدة ٣٢

المواطنة، وأما "أرسطو" فيجعل كلمة المواطنة مرادفة لكلمة الحر، وأما القانون الروماني فلم يكن يُعِد الرقيق إنسانًا له شخصية ذات حقوق، وإنما كان يعده شيئًا من الأشياء، وأما في العصور الوسطى في أوربا فقد ساء نظام الرق جدا، فمع انتشار النظام الظالم -نظام الإقطاع- أصبح المزارع عبدًا لمالك الأرض، لا يملك لنفسه حولًا ولا قوة، وكان يباع ويُشتَرى مع الأرض على أنه جزء منها وآلة من آلاتها.[1]

ولم تكن تلك النظم تعترف للرقيق بحق الزواج، ولا بالحق في أن تكون له أسرة بالمعنى القانوني، وكان الاتصال بين ذكورهم وإناثهم لا يعد زواجًا، وإنما كان يتم ذلك برغبة السادة واختيارتهم بقصد تكاثر عدد الرقيق لديهم كما يحدث بين الأنعام، وكان يحظر على الحر أن يتزوج من أمه أبدا، وعلى الحرة أن تتزوج من رقيق، بل إن معظم تلك النظم كانت تعاقب على فعل ذلك بالعقوبات الشديدة، وربما تصل إلى الإعدام[2]

حتى جاء الإسلام وكرم الإنسان جميعًا ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[3] وهنا جعل الله التكريم يشمل كل بنى آدم ولم يستثنى أحد وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4] وهنا الله عز وجل ساوى بين البشر جميعًا عجمهم وعربهم أبيضهم وأسودهم وجعل المقياس تقوى القلوب.

حتى جاء الإسلام ليرد للرقيق إنسانيته ويحفظ حقوقه ويعاقب كل مَن اعتدى عليه وظلمه، وجاء الإسلام ليصحح العلاقة بين

---

[1] انظر الرق ماضيه وحاضره ، عبد السلام الترمانيني (٥٣-٦٦) ، والرق في الإسلام، أحمد شفيق، ترجمة: أحمد ذكي (١١-٤٥)

[2] انظر حقوق الإنسان في الإسلام، على عبد الواحد وافى (١٣٧)

[3] االسراء : ٧٠

[4] سوره الحجرات (١٣)

الرقيق وسيده ويسد كل الطرق ويفتح له السبل الواسعة لتقليصه في المجتمعات.

1 - جاء الإسلام وللرق وسائل كثيرة ومداخل متعددة لبطشه كالنهب والسطو وسرقة الأطفال والنساء والخطف عن طريق القرصنة واسترقاق الطبقات العليا وبيع النفس عن الفقر والعوز، فسد الإسلام كل هذه الطرق ولم يُبْقِ إلا على منبع واحد فقط وهو الاسترقاق في حالة الحرب المشروعة بين المسلمين والكفار، ولا يجوز الاسترقاق إلا من حضر أرض المعركة فقط أما مَن لم يحضر أرض المعركة وظل باقيًا في بيته فإنه لا يصح استرقاقه ولا سبيه وقد قال صلى الله عليه وسلم "قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعط بي ثم غدر ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه، ولم يعطِ أجره"[1]

2 - عمل الإسلام على توسيع منافذ التخلص من الرق، عن طريق: ١- التطوع وطلب الأجر وقد حثت الشريعة الإسلامية على تحرير الرقيق ورتبت عليه الأجور الكبيرة فقد قال صلى الله عليه وسلم "من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه"[2]

٢- العتق عن طريق الكفارة، فقد جعلت الشريعة أعتاق الرقاب وتحرير الرقيق خيارًا رئيسيًا من خيارات كفارات عدد من الذنوب، ومنها: حالة القتل الخطأ كما في قوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ

[1] أخرجه البخاري رقم (٢٢٢٧)
[2] أخرجه البخاري رقم (٦٧١٥) ومسلم رقم (١٥٠٩)

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۗ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[1]

3 - العتق عن طريق الزكاة، فقد جعلت الشريعة الإسلامية فك الرقاب وعتقها من الرق ضمن الأصناف السبعة التي تدفع فيها الزكاة كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]، فالمراد بقوله :" وفى الرقاب" أي: أنه مما تدفع فيه الزكاة هو أن يُشْتَرَى من مال الصدقة رقيقًا ويعتقهم.

٤- العتق عن طريق المكاتبة، وهى إزالة الرق عن الشخص عن طريق إبرام عقد بينه وبين سيّدِهِ مقابل مال يدفعه الرقيق له، وقد دل عليها قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ"[3]

- فكما أن الإسلام عالج الأمور المتعلقة بابتداء الرق وبانتهاءه فإنه أيضا عالج الأحوال المتعلقة بالرق في أثناءه، فلم يقتصر الإسلام على الإصلاحات الخارجية فحسب، وإنما ذهب عميقًا وقام بإصلاحات داخلية، ارتقت بحياة الرقيق وأعلت من شأنه وحفظت له كرامته إن الإسلام قبل أن يحرر الرقيق في الظاهر قام بتحريره روحيًا وعاطفيًا، برد الإنسانية إليه ومعاملته على أنه بشر كريم لا يفرق عن السادة من حيث الأصل[4]

- الإسلام أكد على المساواة في أصل الإنسانية والآدمية، فالرقيق في المنظور لم يعد شيئًا من الأشياء، وقد أعلن الإسلام

---

[1] النساء :٩٢.
[2] التوبة ٦٠
[3] النور ٣٣
[4] انظر شبهات حول الإسلام ، محمد قطب (٤٣)

هذه الحقيقة في قول رسولنا الكريم -عليه الصلاة والسلام-: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"[1] وهذا الحديث عام يشمل كل الناس، سواء كانوا أحرارًا أو رقيقًا.

- وقد ساوى الإسلام أيضا في الأجر الأخروي، كما جاء مُصَرِّحًا به في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، والآية عامة تشمل كل من عمل صالحًا سواء كان حرًا أو رقيقًا.

- إثبات الأُخُوَّة الإيمانية ومقتضياتها، وقد أعلن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم"[3]، وهذا الحديث يؤكد على البعد الأخوي الذى يجب أن يكون بين السيد ورقيقه.

- الأمر بالإحسان إليهم وإكرامهم ، وقد جعل ذلك داخلًا ضمن أهم الوصايا التى يجب على المسلم مراعاتها ، كما في قوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[4]

---

[1] أخرجه: أحمد في المسند، رقم (٢٣٤٨٩) ، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠)
[2] النحل (٩٧)
[3] أخرجه : البخاري، رقم (٢٥٤٥)
[4] النساء ٣٦

- ومما يثير الاهتمام موقف النبي -صلى الله عليه وسلم- ووصيته بهم وأن يجعلها من آخر وصايا عند موته، وهو من المعروف أن وقت الموت يوصى الإنسان بأولويات الأمور وهذا إن دل يدل على أن معاملة الرق بالحسنى والمساواة عند الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الأولويات فعن "أم سلمة" قالت كان من آخر وصايا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم، حتى جعل نبي الله -صلى الله عليه وسلم- يلجلجها في صدره وما يفصح بها لسانه"[1]

- وعاش الرقيق في ظل النظام الإسلامي حياة مختلفة جدًا عن الحياة التي كان يعيشها الرقيق في الحضارات الأخرى، ونتيجة لذلك التعامل الراقي خرج من الرقيق عدد كبير من العلماء والفقهاء والمحدثين، وكان لهم أثر كبير في العلوم الإسلامية.

- وقد شهد لتلك الصفحة المشرقة في التعامل مع قضية الرق عدد من المفكرين والمؤرخين الغربيين، وأثنوا على الإسلام وأبدوا إعجابهم به وفى هذا فان دنبرغ: "لقد وضعت للرقيق في الإسلام قواعد كثيرة تدل على ما كان ينطوي عليه محمد -صلى الله عليه وسلم- وأتباعه نحوهم من الشعور الإنساني النبيل ففيها نجد من محامد الإسلام ما يناقض كل المناقضة الأساليب التي كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعى أنها تسير في طليعة الحضارة[2]

- وأريد إخبارك أن مع كل شبهة تفتحها ستتأكد بعد فهمها أن الخلل ليس في الإسلام وأحكامه إنما الخلل في عدم الوعى والإدراك والبحث المنصف، وكما قلت لك وأكرر أن الإسلام وصل

---

[1] أخرجه: أحمد في المسند، رقم (٢٦٤٨٣)، والنسائي في المسند، رقم (٧١٠٠) وهو حديث صحيح

[2] الإسلام في قفص الاتهام، خليل أبو شوقي (١٩٨)

إلى المنتهى في كل الأمور التي تجعل ما دونه من دين أو دستور يعجز عن الإلمام بما ألَمَّ به الإسلام والعدل الذى وضعه الإسلام لأنه من عند الخالق الذى يعلم حال خلقه وما ينفعهم وما يضرهم.

ثم أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: طمأنت قلبي ..

قلت في نفسي هل ستنطق الشهادة الآن؟ ولكنى فوجئت منه مجددًا بسؤال آخَر..

قال: وماذا عن حقوق المرأة في الإسلام؟ دائمًا ما نسمع أنها مظلومة ومقهورة، وتعامَل كالآلة لا قيمة لها!

فأين حقها من التعليم؟

قلت: بعد كل ما أجبتك عنه وما زال في قلبك شك تجاه الإسلام؟ أما قلتُ لك أنها مجرد شبهات لا أصل لها وكل ما سمعته عن الإسلام ما هو إلا مجرد أوهام في عقول المدلسين والمغيبين عن شريعته؟

قال: اعذرني ليزداد قلبي اطمئنانًا.

قلت: بالنسبة لحق المرأة في التعليم فهي كالرجل في طلب العلم، قال صلى الله عليه وسلم "إنما النساء شقائق الرجال"[1] *، ويعلم من هذا الحديث أن كل ما أُمر به المسلم فهو يحق للمرأة إلا ما خُصص، فعن الشفاء بنت عبد الله، قالت: دخل على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تعلمين هذه رقية النملة، كما علمتيها الكتابة" رواه أبو داود[2] ، ومن روعة فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان أميًا ولكنه أمر بتعليم زوجته المسنة حفصة الكتابة، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

[1] مسند أبي داوود رقم(٢٣٦/١)

[2] *سنن أبى داوود (حديث ٦/٣٨٨٧) ص ٣٥

قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1] ، وفى هذه الآية إشارة لتعليم أهل البيت وتربيتهم وأمرهم بالمعروف بمعروف ونهيهم عن المنكر بغير منكر للوقاية من النار، وقد حث النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى على تعليم الإماء، وهن أرقاء، قال صلى الله عليه وسلم "ثلاثة لهم أجران : .. ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران"[2]، فهذا كان حاله حتى مع الإماء، وها هي عائشة -رضي الله عنها- عاشت معه أكثر مع تسع سنين متعلمة وحافظة وعابدة كما وصفتها مليكة: "أنها كانت لا تسع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرف"، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصص للنساء أيامًا يجتمعن فيها، مما علمه الله، فعن أبى سعيد الخدري -رضى الله عنه- قال: "جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال "اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا" فاجتمعن، فأتاهن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعلمهن مما علمه الله ..."[3] ، فقد حث ورسخ الإسلام تعليم المرأة وتقدمها في الحياة العلمية في مواضع كثيرة ولم يكن مجحفًا ومهينًا لكرامتها.

وماذا عن عملها؟ فهل من حقها أن تعمل؟

نعم من حقها، من المعروف أن المجتمعات بحاجة إلى عمل المرأة، وإن لم تعمل المرأة فمن لخدمة النساء إذن؟! فالأمة

---

[1] * التحريم :٦

[2] * صحيح البخاري (حديث (١/٩٧) ص ٣١

[3] صحيح البخاري (٩/٧٣١٠)

تحتاج إلى الطبيبة والممرضة والمهندسة والمعلمة إلخ، من الأعمال التي تناسب طبيعة المرأة، لكي تقوم على شؤون النساء.
ومن الأمثلة المذكورة في القرآن على إباحة عمل المرأة ما ذُكِرَ عن الفتاتين اللتين خرجتا لترعيا الغنم لأبيهما حتى قابلهما موسى عليه السلام وسقى الأغنام عنهما، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[1]
وكانت النساء تطيب جرحى الجيش، فعن أنس بن مالك، قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى"[2]
عن "رائطة" امرأة "عبد الله بن مسعود"، وأم ولده، وكانت امرأة من صناع اليد، قال: فكانت تنفق عليه وعلى ولده من صنعتها، قال: فقلت
لعبد الله بن مسعود: لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة، فما أستطيع أن أتصدق معكم بشيء، فقال لها عبد الله: والله ما أحب إن لم يكن في ذلك أجر أن تفعلي، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله إني امرأة ذات صنعة أبيع منها، وليس بي ولا لولدي ولا لزوجي نفقة غيرها، وقد شغلوني عن الصدقة، فما أستطيع أن أتصدق بشيء، فهل لي من أجر فيما أنفقت؟ قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنفقي عليهم فإن لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم"[3] ، لكن مع الضوابط الشرعية التي حددها الإسلام حفاظًا على المرأة والمجتمع، من

---

[1] القصص :٢٣
[2] صحيح مسلم (حديث ٣/١٨١٠) ص ١٤٤٣
[3] مسند أحمد (٢٥/١٦٠٨٦)ص ٤٩٤

اختلاط وتبرج ولغو في الحديث بلا فائدة.... إلخ من الضوابط الشرعية، وإن لم تستطيع ضبط نفسها بهذه الضوابط فعليها بالاكتفاء بالعمل داخل ميدانها الأول وهو (البيت)، وللعلم المرأة التي تعمل في البيت ليست بأقل ممن تعمل خارج البيت بل هذا الأصلح والأنفع والأعلى شأنًا، وليس كما يسول لها الخبثاء، فعمل المرأة في بيتها قيمة كبيرة قد تفوق به قيمة عمل الرجل . من الإشراف على مصالح البيت الداخلية والقيام بتربية أبنائها وبنائهم ورعايتهم، ومن المعروف أن قيمة العمل تظهر وقت حصاد ثمار العمل، فأي قيمة وأي ثمار تحصده المرأة إذا أحسنت تربية أبنائهم وأخرجت أبناء ينفعون الأمة.

قال: وما دام الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في العلم والعمل، فلِمَ لم يساوي بينها وبين الرجل في الميراث، ألم يُعَد هذا ظلمًا؟

المساواة في مواضع كثيرة تُعَدُّ ظلمًا أما الإسلام عدل ووصل بعدله إلى عنان السماء وما يناسب كل الأوضاع، وأتعجب مما أراه في الآونة الأخيرة من مطالبة بعض النساء والرجال بالمساواة بينهم في الميراث وقد لا تعلم المرأة ولا يعلم الرجل منهم أن المطالبة بمثل هذا ظلم لها ولغيرها، فالله عز وجل أعلم بشؤوننا وما ينفعنا، نحن القاصرين المحتاجين إليه سبحانه وتعالى، فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1]، وأحكام الميراث حد من حدود الله الذى لا يصح العبث فيه، ولو تدبر الإنسان الحكمة في تشريع الميراث بهذا الشكل سيجد أن هذا التشريع هو أروع صور العدل، وجلب المنفعة، وهذه هي الصورة الوحيدة لإعطاء كل ذي حق حقه، والانحراف عنها والمطالبة بغيرها تؤدي إلى ظلم وخلل في المجتمع.

[1] الطلاق :١

فالبشر مهما أرادوا أن يحققوا العدالة ،فإنهم لن يبلغوها أو يصلوا إليها، ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذه القيمة العادلة، لجهلهم لأمور كثيرة من أمور دينهم، فهم لا يعرفون أيهم أقرب لهم نفعًا، لذلك تولى الله سبحانه وتعالى قسمة المواريث بنفسه ومع ذلك نجد البعض ينظرون بنظرتهم القاصرة إلي إرث الذكر على أنه ضعف الأنثى في قول تعالى ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[1]، متجاهلين أمْرَيْن:

- الأمر الأول: أن المرأة في الإسلام غير مطالبة بنفقة لأنها ليست عائلة بل مَعولة، بعكس الرجل الذى يتوجب عليه النفقة كاملة دون أن يأخذ من زوجته شيئًا، فلو أن هناك أب ترك ٣٠٠ ألف جنيه وهذا الأب عنده ولد وبنت؛ فقسمة الله أن يأخذ الابن ٢٠٠ ألف جنيه والابنة تأخذ ١٠٠ ألف جنيه، فالابن مطالب منه عند زواجه مهر، ونفقة كاملة على زوجته وأسرته ومن الطبيعي أن إرثه سينقص بل من الممكن أن لا يبقى من إرثه شيء، بعكس الابنة إذا تزوجت فليس عليها شيء بل على زوجها أن يعولها وينفق عليها دون أن يطلب منها شيئًا وستكون الابنة هنا محتفظة بكامل إرثها دون نقصان، وإذا أرادت أن تنفق منه على أسرتها فهذا يعد فضل منها، ليس واجبًا.
- الأمر الثاني: الذي يتجاهله أصحاب دعوة المساواة في الميراث ، أنه قد ترث في أكثر من ثلاثين حالة مثل الرجل أو أكثر منه، وفى بعض الحالات ترث المرأة ولا يرث نظيرها، وإذا أردت التفصيل في هذا الباب الواسع عليك بقراءة هذا الكتاب "امتياز المرأة على الرجل في الميراث والنفقة" لصلاح الدين سلطان، فقد فصل في كتابه حالات إرث المرأة كاملة.

[1] * النساء :١١

ثم سألني عن تعدد الزوجات، قال: أليس التعدد ظلمًا للمرأة ومن الممكن أن يضر بنفسيتها؟

قلت: الحقيقة أن الإسلام لم يأمر الرجال بالتعدد ولم يجعل التعدد ركنًا من أركان الإسلام أو كمال الإيمان، بل لأن الإسلام دين شامل ينظر للحياة نظرة شمولية عامة، ليست نظرة أحادية، لذلك أباح التعدد. وهناك فرق بين الفرض الذى لا يكتمل الدين إلا به وبين الإباحة أو جواز فعل الشيء بضوابطه وعلله، والإسلام لم يأتِ في حقيقته بالتعدد بل جاء ليضبط التعدد، فالتعدد كان قبل الإسلام منتشرًا ومتواجدًا بغير حد، ومن أمثلة ذلك في العصر الفرعوني كانت ظاهرة تعدد الزوجات منتشرة بينهم ويعد من أشهر الفراعنة تعددًا للزوجات هو "رمسيس الثاني" كان له العديد من الزوجات وعشرات الجواري وأنجب أكثر من ١٠٠ ولد وبنت، ونجد هذا منقوش على جدران المعابد حتى اليوم، وكان تعدد الزوجات منتشرًا في جزيرة العرب قبل الإسلام أيضًا، فعن "ابن عمر" -رضى الله عنه- أن "غيلان بن سلمه الثقفي" أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية، فأسلمن معه، "فأمره النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يتخير أربعًا منهن)[1]

وروى أبو داود رضى الله عنه بإسناده أن عميرة الأسدي قال: أسلمت وعندي ثمان نسوةٍ، فذكرت ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال -صلى الله عليه وسلم-: "اختر منهم أربعًا" وغيرها من الأمثلة التي سبقت الإسلام في مسألة التعدد، وكان تعدد الزوجات وقتها بلا أية حدود وضوابط، حتى جاء الإسلام وحده بضوابط شرعية تناسب بعض الظروف، ومن المعروف أن المرأة كالرجل، لها عواطف وشعور وقلب، فلا يصح أن يأتي

[1] سنن الترمذي (حديث ٣/١٢٨، ص٤٢٧ رواه الترمذي في سننه.

الرجل دون سبب ويتزوج الثانية، فالله -عز وجل- عندما شرع وأباح التعدد وهو الذى خلقنا وأعلم بإمكانيات كل منا رجلًا وأنثى، ولأجل عدة أسباب شرع الله التعدد، فقد تكون امرأة مريضة ساكنة الفراش، ويخشى الرجل نفسه من الوقوع في الفتن المحرمة، أو تكون المرأة لا تنجب ومن المعلوم أن الذرية من زينة الحياة التي يتمناها كل رجل وأنثى، وقد يكون الرجل قوي الشهوة ولا تكفيه امرأة واحدة ولو مُنِعَ من التعدد لوقع في العلاقات المحرمة التي تجلب الفساد، وأيضًا من حكم تعدد الزوجات ما تبين لدى الإحصائيات أن عدد نساء أكثر من الرجال، فلو تزوج كل رجل امرأة واحدة فهذا يعنى أن من النساء من ستبقى بلا زواج مما يعود بالضرر عليها وعلى المجتمع، وقد تكون المرأة لا تفي بحاجة الزوج ومنفرة له، وهو يخشى أن يطلقها حفاظًا عليها، وغير ذلك من الأسباب التي شرع الله لأجلها التعدد، وليس ذلك وحسب، بل الإسلام جعل للتعدد ضوابط وشروط، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[1].

وشروط التعدد:

١-القدرة المالية البدنية: بأن يكون قادرًا على الأنفاق على زوجاته، ويحقق بينهم العدل، فإن كان رجلًا لا يستطيع أن يؤدي واجبه الذى ألزمه الله به في البيت الأول، فلا يحق له أن يفتح بيتًا آخَر.

٢- أن يتحرى العدل بين زوجاته، والعدل بين الزوجات يكون في القسمة بينهن بالعدل، والمساواة، ولا يفضل زوجة على زوجة من حيث متاع الدنيا، فمن انحرف عن منهج العدل بين نساءه

[1] النساء : ٣

أتى الله يوم القيامة وشقه مائل، فعن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل"[1]، لكنه لو مال بقلبه نحو واحدة، فهذا لا إشكال فيه لأنه خارج عن إرادته، ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾.

٣- ألا يكون هناك شرط في عقد الزواج بين الرجل وزوجته الأولى في عدم الزواج من أخرى، فالمسلمون على شروطهم، فلا يحق أن أشترط عليه أن يتزوج في السر أو العلن، ومن العجيب أن المرأة التي تنكر التعدد قد ترى زوجها يخونها مع امرأة أو أكثر، ثم تجعل الأمر يمر وكأن شيئا لم يحدث، وهنا في الحقيقة عدد الرجل بالنساء ولكن دون زواج بل في الحرام، وفى المقابل تغضب المرأة وتتوقف الحياة بالنسبة لها إذا عدد الرجل عن طريق الزواج الشرعي الذي جعله الله بميثاقه الغليظ قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾[2] ومن جميل الميثاق الغليظ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما وضع مواصفات الزوجة للرجل، قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك"[3]

هذه هي المواصفات التي يختار عليها الزوج امرأته، وفى المقابل إذا أرادت المرأة أن تختار زوجًا لها نجد النبي -صلى الله عليه وسلم- قد وضع مواصفات زائدة عن مواصفات المرأة لزيادة الحرص والأمان لأجلها، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه،..."[4]، ولو تأملنا هذين الحديثين نجد أن معيار المرأة إذا طلبت للزواج

---

[1] سنن أبي داود (حديث ٣/٢١٣٣) ص ٤٦٩

[2] النساء ٢١

[3] صحيح البخاري (حديث ٥٠٩٠ /٧) ص ٧.

[4] سنن الترمذي (حديث ٣/١٠٨٤) ص٣٨٧

أن تكون صاحبة دين ووقف عند الدين "فاظفر بذات الدين، تربت يداك"، أما معيار الرجل إذا تقدم للزواج أن يكون صاحب دين وخلق "من ترضون دينه وخلقه"، فزاد الخلق مع الدين حتى تؤمن حياة المرأة، ومثل هذا لن تجده إلا في الإسلام.

ولكن قد تسأل المرأة لماذا شرع الله التعدد للرجل ولم يشرعه للمرأة؟ والجواب: أن المرأة لا يفيدها التعدد في شيء، بل يحط من قدرها وكرامتها، ويضيع عليها نسب ولدها لأنها حاملة النسل، وتكوينه لا يجوز بأن يكون من مياه عدد من الرجل، وإلا ضاع نسب الولد، وضاعت مسؤولية تربيته، وتفككت الأسرة، وزاد الفساد في الأرض؛ لأنه سيزيد معه عدد الأولاد فاقدي الهوية، ومن الممكن أن يتسبب فقدان الهوية في كوارث لعدم معرفة هوية الأبناء، كما وقد تسأل المرأة أيضًا أنها مثلها مثل الرجل تحب الذرية فلو كان زوجها عقيم لا ينجب، أو يكفر عشيرها، أو لا يوفيها حقها وتخشى المرأة على نفسها فماذا تفعل؟

والجواب أن في مثل هذه المسائل يحق للمرأة أن تخلع زوجها وتطلب منه الطلاق، فعن ابن عباس، أن امرأة "ثابت بن قيس" أتت النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "أَتَرُدِّين عليه حديقته ؟" قالت: نعم، فقال

رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "اقبل الحديقة وطلقها تطليقا"[1]، فما أجمل هذا الدين الذي أتى مراعيًا لكل ظروف الحياة.

[1] صحيح البخاري (حديث ٧/٥٢٧٣) ص ٤٦

ثم قلت: وهل تسمح لي أن أخبرك ببعض صور تكريم الإسلام للمرأة بشكل عام لتعرف إلى أي مدى وصل الإسلام بالمرأة ورفع من شأنها؟

قال: زدني، فكلامك أزال من قلبي شعورًا ثقيلًا كان يلازمني ليل نهار..

قلت: إن صور تكريم المرأة في الإسلام كثيرة جدًا ومتعددة، ففي بعض الأحيان نجد الإسلام يقدم المرأة على الرجل، فقد كرم الإسلام المرأة قبل أن تولد وهذا لن تجده إلا في دين الله - الإسلام- قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[1] ، ومن المعروف أنه قبل الإسلام إذا رزق الإنسان بابنة يغضب، وفى هذه الآية قدم الله تعالى الإناث على الذكور، ومن المعروف أن الأنبياء هم أشرف الخلق وأقربهم إلى الله معرفة، ومع ذلك نجد أكثر الأنبياء كانوا آباء بنات، ونبينا -صلى الله عليه وسلم- رُزِقَ ذكورًا - القاسم وعبدالله- لكنهما ماتا ولم يبق سوى البنات ومتع بهم - صلى الله عليه وسلم- فهذا اختيار الله لأنبياءه وأحبابه، وكل عاقل متأمل يجد أن في هبة الله لأنبياءه الإناث هو أعظم تكريم للمرأة، وكرم الإسلام المرأة وهى طفلة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كن له ثلاث بنات يؤويهن، ويرحمهن، ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة"، قيل: يا رسول الله فإن كانتا اثنتين؟ قال: "وإن كانتا اثنتين"، قال: فرأى بعض القوم، أن لو قالوا واحدة، لقال واحدة"[2] ، وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من عال جاريتين حتى تبلغا،

---

[1] الشورى: ٤٩

[2] مسند أحمد (حديث ٢٢/١٤٢٤٧) ص١٥٠ رواه أحمد وصححه الألباني

جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه)[1] ، فمن أحسن إلى بناته كان واجبًا أن يكون بجوار خير خلق الله يوم القيامة.

وكرم الإسلام المرأة وهى أخت؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "من أنفق على ابنتين، أو أختين، أو ذواتى قرابة، يحتسب النفقة عليهما، حتى يغنيهما الله من فضله عز وجل أو يكفيهما، كانتا له سترا من النار"[2] ، جعل الإسلام إعالة الأخت حجابًا عن النار، وكرم الإسلام المرأة وهى زوجة؛ قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ * النساء ١٩، وكرم الإسلام المرأة وهي أم، عن أبي هريرة قال: جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: "أمك" قال: ثم من؟ قال: "ثم أمك"، قال ثم من؟ قال: "ثم أمك" قال ثم من؟ "ثم أبوك"، وفى هذا الحديث بين النبي -صلى الله عليه وسلم- فضل الأم ومنزلتها وأن للأم من الحق في هذا الجانب من حسن الصحبة ثلاثة أضعاف ما للأب من ملاطفة وإحسان وبر.

وقد كرم الإسلام المرأة بعد وفاتها، فكان -صلى الله عليه وسلم- يرسل من ذبائحه إلى أصدقاء خديجة -رضي الله عنها- برًا حتى بعد وفاتها، وكرم الإسلام المرأة عامة فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "....، واستوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوجًا، استوصوا بالنساء خيرًا"[3] ، وفي هذا الحديث نجد النبي -صلى الله عليه وسلم- وصى على المرأة مرتين في بداية الحديث ونهايته ليؤكد

---

[1] صحيح مسلم (حديث ٤/٢٦٣١) ص ٢٠٢٧

[2] مسند أحمد (حديث ٢٦٥١٦ /٤٤) ص ١٣٤

[3] صحيح مسلم (حديث ٢/١٤٦٨) ص١٠٩١

لنا الوصية، وهناك أحاديث وآيات كثيرة، كرم الإسلام فيها المرأة، وهذه الأحاديث جزء من كل، واحتفال القرآن والسنة بالمرأة لا يضاهيه فكر، ولا دين سواه ولا...

فقاطَعَني كالعادة وهنا سألني: وهل يقبل الله توبة إنسان كان يحاربه ويطعن فيه وفى شريعته يومًا ما؟

قلت: وماذا يرضيك؟ هل تحب للمقبل إلى الله أن يعود مثلما جاء الدنيا لا ذنب له؟

قال: بالطبع

قلت: من فضل الله ورحمته وكرمه أن التائب والعائد إلى الله بقلبه ولسانه وجوارحه يجعله الله أفضل مما عليه الطفل الرضيع لأن الرضيع يستقبل الدنيا بلا حسنات ولا سيئات أما التائب يستقبل دينه بجبل من الحسنات، لأن الله عز وجل سيكرمه بتبديل كل ما كان عنده من سب وشتم وطعن وظلم وكذب.... إلى آخر القبائح، فهو القائل ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]

وأزيدك أن الله عز وجل لم يفرح بشيء من عِبادِهِ كَتَوْبة العبد ورجوعه، قال -صلى الله عليه وسلم- "لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى بشجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمه عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح"[2]

أتعرف شعور من كان في الصحراء ومعه طعامه وزاده داخل سيارته ثم انصرف قليلًا عن سيارته ولما عاد مرة أخرى فلم

---

[1] الفرقان :٧٠

[2] رواه البخاري (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٧)

يجدها بما فيها؟ شعور لا يوجد أقبح منه أنه الموت بالبطيء، وبعد البحث الشاق ومن شدة اليأس استلقى بظهره على جذع شجرة ثم فجأة يجد دليلًا يدله عليها ويجدها بما فيها، تخيلت معي شعور هذا الرجل، فالله عز وجل يفرح بتوبة العبد كفرحة الرجل الذي وجد ضالته.

وهنا قاطَعَني، ولكن مقاطعة ليست كأي مقاطعة: قام من على كرسيه وقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله" ثم قال: " رضيت بك يا إلهى ربًا، وبالإسلام دينًا ودستورًا، وبمحمد نبيًا ورسولا.. ثم بكى من الفرحة؛ ووقتها شعرت وكأنني ملكت الدنيا وما فيها، وتذكرت قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "فوالله لأن يهدى الله بك رجلًا خيرًا لك من الدنيا وما فيها".

كلمة

في هذا الحوار لم أتكلم عن محاسن الإسلام وفضائله التي ملأت حياة كل مَن يعمل بها؛ فالإسلام جاء ليصل بنا إلى المكارم في كل شيء قال -صلى الله عليه وسلم-: "إني قد بعثت فيكم لأتمم مكارم الأخلاق" هنا لم ينفِ النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث الأخلاق عمَّن كانوا قبلنا، ولكن جاء ليسد لنا كل ثغرة ويرتب لنا كل شيء ويصل بنا إلى المكارم والمنتهى من أدنى التفاصيل إلى أعلاها

الإسلام الذى له الأثر الأعلى في كل شؤون الحياة -الروحية والعقلية والجسدية، وبهديه علَّمَنا قيمة الحب، والعلم، والعمل، والصداقة، والصدقات، والبر، والإخاء، والعدل، والكرم، والجود، واللين، والتسامح، وحسن المظهر، والاعتناء بالصحة إلى آخر صور الحياة.

الإسلام الذى ضرب أعلى صور الأخلاق عندما ربط الإيمان بحب الخير للغير مثل ما تحبه لنفسك قال -صلى الله عليه وسلم-: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه"، وضرب لنا أعلى صور التسامح في قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ...."

تأكد أخي القارئ أنك إذا وضعت أصبعك في أي مجال من مجالات الحياة وأي معاملة حتمًا ستجد الإسلام وصل بها إلى عنان السماء، وإلى لقاء مع عائد إلى الحق آخَر بإذن الله،،،

تمت بحمد الله،،

قم بتنزيل برنامج QR CODE Scanner من Play Store لقراءة الأكواد

ضيف هاتف الدار على موبايلك مباشرة

لزيارة موقع الدار

لزيارة صفحة الدار

للتواصل مع الدار واتس آب

مجلة الدار لإصداراتها الورقية

لم يشهد التاريخ زمنًا إنتشر فيه - الإلحاد - والطعن فى دين - اللّه - كزماننا هذا ، ولذا قَّدمنا بين يدى الكتاب عددًا من الأدلة العلمية والفطرية والعقلية التى تدحض فكرة إنكار وجود أّلله والتى يجد القارئ من خلالها انتقالاً سلساً بين الفلسفة تارة وعلم الكونيات تارة أخرى والبديهيات العقلية تارة ثالثة ؛ لا لشئ إلا لنثبت ما هو مُثبت بالفعل وهو وجود أّلله الخالق العظيم، ثم ننتقل بالأدلة بعد ذلك حول صحة الإسلام، وذلك كله على هيئة حوار إفتراضى بين مؤمن مسلم وصديقه الملحد

محمد سيد صالح

- دبلومة فن الإتصال وأساليب الذاكرة
- بكالوريوس إرشاد سياحى
- خريج اكاديمية ُصناع المحاور لتأهيل المحاِور والرد على الشُّبهات
- يقدم برنامجًا تليفزيونيًا على قناة المحبة الفضائية بعنوان " حدائق "
- كما أن له العديد من الحوارات والمناظرات المكتوبة والمرئية وكذا عددًا من المقالات والأبحاث

مؤلفاته : كتاب " لماذا الإسلام وسط الزحام "

تصميم : احمد جابر